

موسومة

الثقافة التاريخية

والأثرية والحضارية



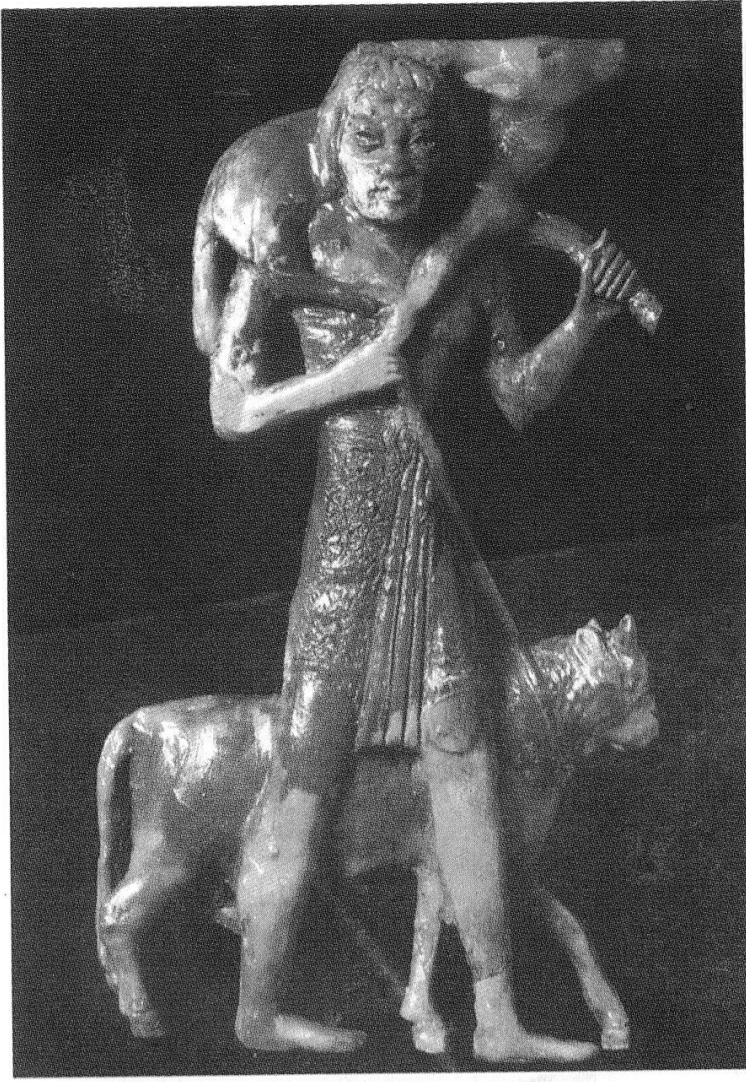
معالم تاريخ منطقة الأناضول القديم وحضارتها



أ.د. حسن السعدى



موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية



تمثال عاج وجد في نمرود القرن ٨ ق م

التصميم والإشراف الفنى
محيى الدين فتحى الشلوى

حسن محمد محي الدين السعدى. ٩٣٩, ٢
تاريخ وحضارة بلاد الأناضول القديمة/ تأليف حسن
محمد محي الدين السعدى. - القاهرة: دار الفكر العربى،
٢٠٠٧.
أ- د ٤٠ ص: صور؛ ٢٤ سم. - (موسوعة الثقافة
التاريخية والأثرية والحضارية. التاريخ القديم؛ ١٨).
بيلوجرافية: ص ٣٩.
تدمك: × - ٢٠٨٢ - ١٠ - ٩٧٧.
١ - تاريخ الأناضول. ٢ - حضارة الأناضول.
٣ - الدولة الحيثية القديمة. أ - العنوان. ب - السلسلة.

رقم الإيداع: ٥٨٥٩ / ٢٠٠٦

تنفيذ وطباعة الكتاب: مطبعة البردى بالعاشر من رمضان

دار الفكر العربى

اللجنة الاستشارية لموسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية

- أ.د سعيد عبد الفتاح عاشور
أستاذ تاريخ العصور الوسطى - كلية الآداب - جامعة القاهرة - رئيس
اتحاد المؤرخين العرب.
رئيس اللجنة
- أ.د عادل حسن غنيم
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الآداب - جامعة عين شمس.
مقرر عام اللجنة
- أ.د عبد الحليم نور الدين
أستاذ اللغة المصرية القديمة بكلية الآثار - عميد كلية الآثار - جامعة
القاهرة - فرع الفيوم - مدير مركز الخطوط بمكتبة الإسكندرية
مقرر التاريخ القديم
- أ.د إسحق عبيد
أستاذ تاريخ العصور الوسطى بكلية الآداب - جامعة عين شمس.
مقرر التاريخ الوسيط
- أ.د عصام الدين عبد الرؤوف
أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية الآداب - جامعة القاهرة.
مقرر التاريخ الإسلامى
- أ.د جمال زكريا قاسم
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الآداب - جامعة عين شمس.
عضوا
- أ.د عطية أحمد محمود القوصى
أستاذ التاريخ الإسلامى بكلية الآداب - جامعة القاهرة.
عضوا
- أ.د صابر دياب
عميد كلية الآداب جامعة القاهرة فرع الخرطوم «سابقا»
عضوا
- أ.د رأفت عبد الحميد
وأستاذ التاريخ الإسلامى بكلية دارالعلوم - جامعة الفيوم.
عضوا
- أ.د رأفت عبد الحميد
عميد كلية الآداب - سابقا - جامعة عين شمس، وأستاذ تاريخ العصور
الوسطى.
عضوا

مديرا التحرير: الكيمياءى: أمين محمد الخضرى
المهندس: عاطف محمد الخضرى
سكرتير اللجنة: عبد الحليم إبراهيم عبد الحليم
التصميم والإشراف الفنى: محيى الدين فتحى الشلودى
جميع المراسلات والاتصالات على العنوان التالى:

دار الفكر العربى

موسوعة الثقافة التاريخية والأثرية والحضارية

٩٤ شارع عباس العقاد - مدينة نصر - القاهرة

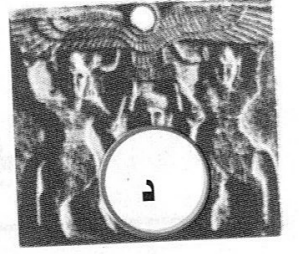
ت: ٢٢٧٥٢٩٨٤ - فاكس: ٢٢٧٥٢٧٣٥

www.darelfikrelarabi.com

INFO@darelfikrelarabi.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم السلسلة



التاريخ علم من أجل العلوم الإنسانية وأعلاها قدرا وأكثرها فائدة. ويتطلب علم التاريخ فيمن يمارسه التحلي بأمانة الحكم وصدق الكلمة وبعُد النظر والقدرة على الإفادة من دروس الماضي لمواجهة صعاب الحاضر والاستعداد لما قد يفتق عنه المستقبل من أخطار وعقبات.

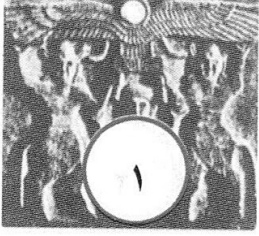
إن الروايات التاريخية قد تتشابه في بعض أجزائها على مدى الدهور، ولكن التاريخ لا يمكن أن يعيد نفسه، بمعنى أن تتطابق أحداثه مع بعد المسافة بين حدث وآخر. فالإنسان هو الإنسان بكيانه الجسدى ومشاعره النفسية وتطلعاته وطموحاته. . على مر العصور، ولكن الظروف المحيطة به تتغير وتتبدل من عصر لآخر. وغالبا ما يتخذ هذا التغيير مواقف جديدة أو مسيرة مختلفة تسهم في تحويل نظرة الناس إلى الحياة. وبدراسة التاريخ يمكن الوقوف على ما مر به الإنسان من تجارب وما يمكن أن يكون قد وقع فيه من أخطاء، وكيف يتجنبها في الحاضر والمستقبل. وهذا ما عبر عنه بعض الحكماء بقوله: «من وعى التاريخ فى صدره، أضاف عمرا إلى عمره».

وقد أدرك هذه الحقيقة كثير من الهيئات الثقافية، فجعلوا للتاريخ حقه من الاهتمام والرعاية، وحرصوا على رعاية جمعه وحصاده وأحلوه فى مكانه اللائق.

وتأتى مؤسسة **دار الفكر العربى** التى أسسها الأستاذ/ **محمد محمود الخضرى**، التى تنهض بدور ملموس فى مجال خدمة الثقافة العربية. التى وضعت مشروعا للثقافة التاريخية، واستعانت فى التخطيط لهذا المشروع بعدد من صفوة أساتذة التاريخ المتخصصين داخل الجامعات العربية وخارجها. كما وفرت الدار لهذه السلسلة الإخراج الفنى والتصميمات، وكذلك المراجعة اللغوية لخروج هذه السلسلة بالصورة التى تجدونها أمامكم.

وإن أسرة الدراسات التاريخية ليسعدها أن تقدم هذا الكتاب الذى يصدر عن **دار الفكر العربى** ضمن هذه السلسلة، سائلين لها دوام التوفيق فى خدمة الرسالة والنهوض بالأمانة.

أ.د. سعيد عبد الفتاح عاشور



المقدمة

يسعدنى أن أقدم لقارئ العربية هذه اللوحة من تاريخ وحضارة منطقة الأناضول (آسيا الصغرى). وهى المنطقة التى شهدت زخماً هائلاً من التنوعات البشرية التى ضختها السلاسل الجبلية المحيطة لتستقر وتندمج مع السكان الأصليين لتصنع فى النهاية تاريخ المنطقة منذ عصور ما قبل التاريخ بها وحتى قبيل ظهور الإسكندر الأكبر.

والواقع فإن المقدرات الاقتصادية كانت أحد أهم العوامل التى جعلت بلاد الأناضول محط أنظار الكيانات الكبرى المحيطة بها أو الجموع البشرية الطامحة فى موطئ قدم على أرضها.

وقد حاولنا فى هذه العجالة أن نستجلى بعض هذه المعالم التاريخية والحضارية لمنطقة الأناضول فى أسلوب مبسط يمتد عبر ثلاثة فصول. اختص الأول منها بتحديات البيئة واستجابة الإنسان فى مرحلة تكون النشاط البشرى وما يعبر عنه من إنتاج مادي.

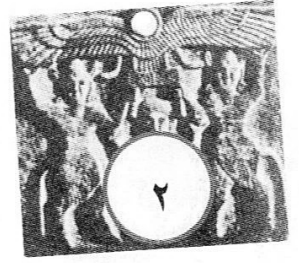
فى حين اختص الفصل الثانى بالمعالم التاريخية للمنطقة التى كان أبرزها الاستقرار المنتظم للحيشين، والذى جعل بمكنتهم تأسيس دولة سرعان ما تحولت إلى إمبراطورية حاولت أن تسيطر على مقدرات المنطقة الاقتصادية مع الهيمنة السياسية فضلاً عن العمق الإستراتيجى لها لمواجهة القوى المناوئة بالمنطقة وعلى رأسها مصر.

أما الفصل الثالث فقد تناول فى عجالة ملامح العطاء الحضارى لمنطقة الأناضول من خلال إلقاء الضوء على بعض مظاهره مثل إدارة الدولة وملامح الحياة الاقتصادية والدينية بها فضلاً عن اللغة والفن.

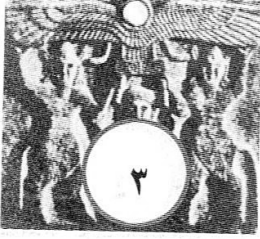
وقد قدم المؤلف ثبناً بأهم المراجع والقراءات المختارة بالعربية والأجنبية، حتى يتيح الفرصة لكل راغب فى الاستزادة أن يجد بغيته فيما يمكن أن يطلع عليه من مراجع إضافية.

كما اشتمل الكتاب على مجموعة من اللوحات المتضمنة لخرائط وصور وأشكال كفيلة بتقريب بعض المعلومات إلى ذهن القارئ من الناحية التصويرية.

والواقع فإننا لا نزعم أننا وفينا الأمر حقه، ولكننا نزعم أننا حاولنا أ
نقطف من كل بستان زهرة لنضعها في سلة الأناضول بين يدي القارئ الكريم
حيث تحكمنا مجموعة اعتبارات في ذلك على رأسها طبيعة المادة المطروحة في
ضوء الهدف من هذه السلسلة بعامة. فضلاً عن عدم الإغراق في التفاصيل
حتى لا تضطرب السبل لغير المتخصص والذي يسعى لأن يعرف لمحات وضاءة من تاريخ منطقة
الأناضول القديم. والذي يعد جزءاً لا يتجزأ من تاريخ الشرق الأدنى القديم.
والله أسأل أن يحقق هذا المؤلف النفع المنشود منه إنه نعم المولى ونعم النصير.



المؤلف



الفصل الأول الأناضول بين تحديات البيئة واستجابات الإنسان

أولاً: البيئة الطبيعية:

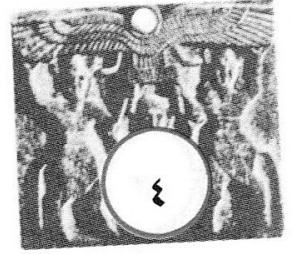
تتميز البيئة الطبيعية لشبه جزيرة آسيا الصغرى (الأناضول) بمجموعة من التنوعات الجغرافية للسطح والمتناقضات الموسمية للمناخ، التي يستتبعها بالطبع تنوع للنشاط البشرى واقتصادياته. فهي عبارة عن كتلة صخرية يزداد ارتفاعها كلما اتجهنا شرقاً لتتراوح بين ٢٥ إلى ٥٠٠ قدم، وهي تقع إلى الشمال والشمال الغربي من إحدى أهم مناطق الحضارات القديمة وهي منطقة سوريا وبلاد الرافدين، وفي مفترق الطرق بين آسيا وأوروبا، وتحيطها البحار من ثلاثة جوانب، البحر الأسود شمالاً والبحر المتوسط جنوباً والأرخبيل غرباً.

ولقد فسر البعض هذا التكوين الجغرافى وما يميزه من مظاهر طبيعية بكونه سبباً عازلاً للإقليم حيث تفصل البحار بينه وبين أوروبا والجبال بينه وبين آسيا. فى حين يرى البعض الآخر فيه أنه جعل شبه جزيرة الأناضول معبراً ذا حواجز مرتفعة، فصلت جزءه الشمالى والجنوبى عن المناطق الساحلية، فى حين تميز الجزء الغربى بالانحدار تدريجياً نحو وديان الأنهار التى تصب فى بحر إيجه وبحر مرمرة. والواقع فإن الأنهار التى تزخر بها الهضبة لا تقتصر على جزئها الغربى بل هناك أنهار أخرى مثل نهر الهاليس فى الجزء الشمالى الشرقى من هضبة الأناضول، والذى يبلغ طوله ٥٠٠ ميلاً وينتهى مصبه عند البحر الأسود.

وفى نفس المنطقة يجرى الجزء العلوى من نهر أيريس، وهى المنطقة التى كانت الموطن الأصيل ومقر واحدة من أهم عواصمهم وهى خاتوساس.

ومن الأنهار الهامة أيضاً نهر سانجاريوس الذى يغذى مع نهر هاليس حدود الجزء الشمالى الغربى من هضبة الأناضول، فى حين تشكل البحيرات الوسطى الجنوبية الغربية حده الجنوبى. وهو يشمل إقليم فريجيا وأهم مدنه أنقره. أما الأنهار التى تصب فى بحيرات بيديسىان وتقع فى المنطقة الوسطى للهضبة الإيرانية، فقد جعلت هذه المنطقة صالحة للزراعة، فيما عدا ما يتخللها من مرتفعات جدداء. بحيرتان كانت أولاهما تغذى المنطقة السهلية الواقعة أسفل مرتفعات طوروس

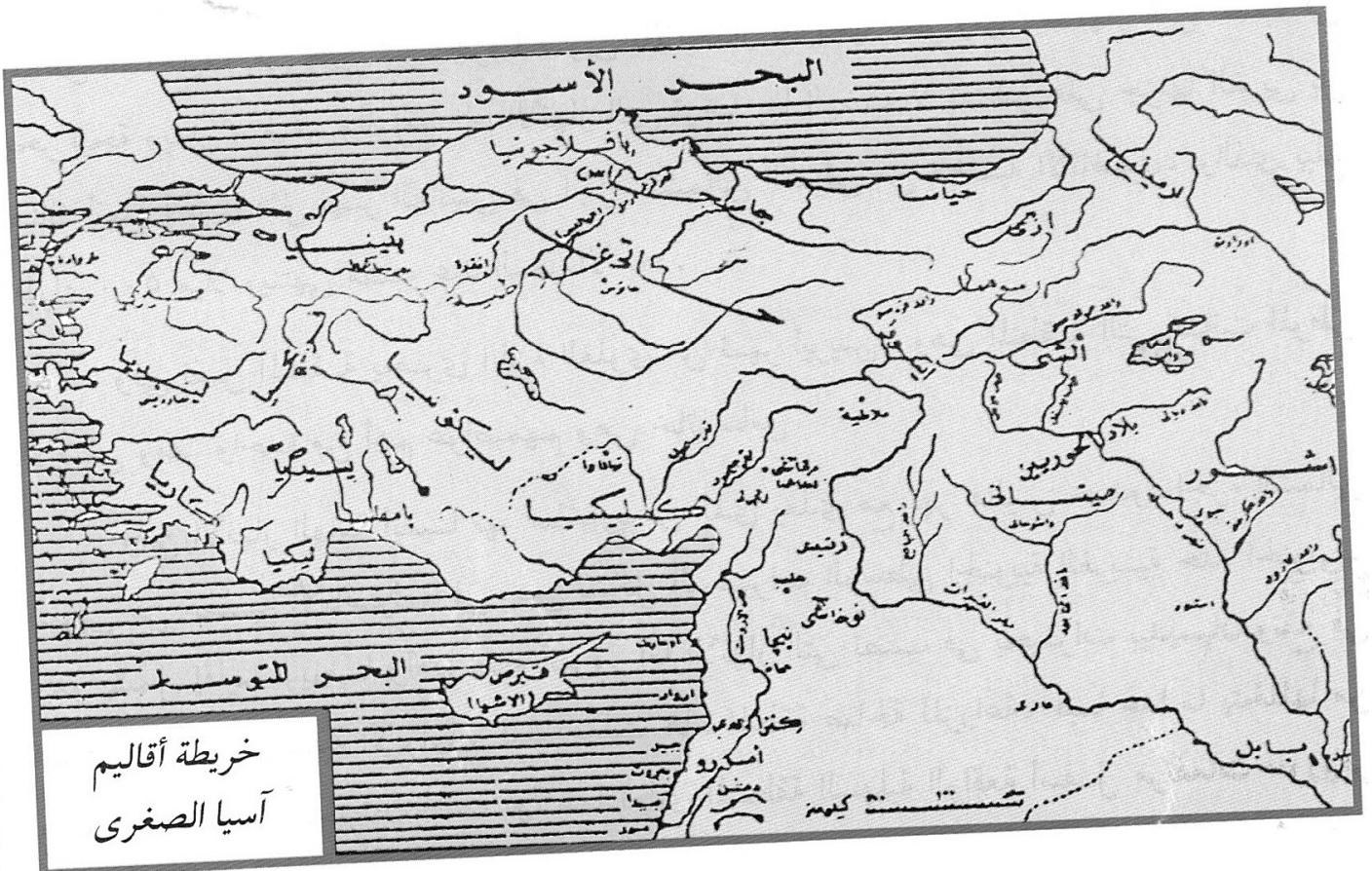
الشمالية وهى بحيرة أكيجيل . والأخرى تعرف باسم بحيرة الملح فى سهل أكسيلون وسط الهضبة ذاتها .

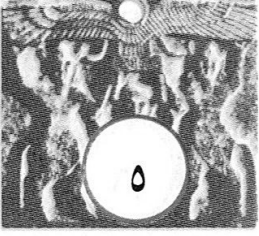


أما بالنسبة للمرتفعات . فيمكن أن نميز منها هضبة أرمينيا التى تعد امتدادا لسلسلة جبال البرز المطلة على بحر قزوين ، والتى تمثل قمة جبل أرارات أعلى قممها ، فضلاً عن سلسلتين جبليتين تمتد الأولى بمحاذاة ساحل البحر الأسود وتعرف باسم القوس البونتى . فى حين تمتد الثانية إلى الجرف العربى حتى نصل إلى البحر المتوسط ، وذلك فى شكل أقواس متوازية .

أما مناخ آسيا الصغرى فمتنوع بتنوع الأقاليم التى يشرف عليها ، فهو يشبه مناخ أوروبا الشرقية فى جزئه الشرقى ، فى حين يشبه مناخ البحر المتوسط فى جزئه الجنوبى الغربى . وإن تميز الشتاء بعامه بجو شديد البرودة ، بعكس الصيف شديد الحرارة ، مع ندرة فى الأمطار عوضتها كثرة المجارى المائية على سطح الهضبة .

وقد أثر ذلك على نتاج النشاط البشرى حيث عرف سكان الأناضول زراعة الخضروات والفواكه ، كما اهتموا برعى الماعز تحديداً الذى اشتهر بجودة صوفه . كما اشتهروا بتعدين الحديد الذى عد استغلاله انقلاباً فى منطقة الشرق الأدنى القديم ، وعلامة لمرحلة مدنية جديدة عرفت باسم عصر الحديد Iron Age تلت عصر البرونز Bronze Age .





ولقد تباينت تقسيمات الباحثين لأقاليم هضبة الأناضول. إذ يراها البعض تنتظم في أربعة أقاليم هي القسم الشمالى الشرقى والقسم الشمالى الغربى وقسم يشمل الأراضى الواقعة بين السهول الوسطى وبحيرات بيسيديات ثم أخيراً القسم الواقع أسفل مرتفعات طوروس الشمالية مع إضافة سهل أكسيلون ومنطقة بحيرة الملح لها (ربما كقسم خامس).

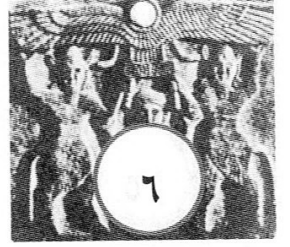
فى حين يراها البعض الآخر عبارة عن ستة أقاليم طبيعية؛ الأول منها يمثل الجزء الأعلى لحوض ساكاريا فى الشمال الغربى. والثانى فى حوض قزمل إرمق فى الشمال الشرقى. ثم الثالث ويغضى المنخفضات حول البحيرات الصغيرة فى الجنوب الغربى. أما الرابع فيمثله المثلث المتكون من سلسلة جبال طوروس وطوروس الداخلية فى الجنوب الشرقى. ثم الإقليم الخامس فى الجنوب وهو إقليم أكجول. ثم أخيراً الإقليم السادس ويخص السهل المحيط ببحيرة الملح فى الوسط.

وقد يغلب على الظن أن هذه المظاهر الطبيعية لهضبة الأناضول (آسيا الصغرى) قد جعلها منطقة طاردة للبشر أو مجرد معبر بين أوروبا وآسيا. بيد أن الأقوام التى هاجرت إليها لم تتعامل معها على أنها مجرد معبر، بل أرض الثراء القادم والمواد الخام ذات الخصوصية المميزة. فأيونيا على سبيل المثال كانت المنبت الذى نمت فيه بدايات الحضارة اليونانية، أما الرومان فقد مثلت آسيا بالنسبة لهم أغنى بقاع الإمبراطورية، كما أدركوا أن المركز الحقيقى للنمو السياسى والثقافى والاقتصادى سيكون شرق إيطاليا وهو ما يفسر نقلهم عاصمتهم إلى القسطنطينية فى مرحلة تاريخية تالية.

بل ومن قبل أولئك وهؤلاء فقد كان البعض يعتبرها الحاشية غير المتمدنة للهلال الخصيب. على حد تعبير جيمس ميلارت، إلا أن تميز نشاط الإنسان فيها وتنوعه منذ العصور الحجرية بها لا سيما الحديثة منها قد عدل من هذا المفهوم ودفع الباحثين للتركيز على معالم تميزها بين قريناتها من حضارات المنطقة.

ولقد ساعد على إبراز هذا التميز لشبه جزيرة الأناضول تنوع ثرواتها ومن ثم نشاط الإنسان فيها سواء فى الإنتاج الزراعى أو الغابات المنتشرة على سفوح المنحدرات التى ساعدت على ممارسة حرفة الرعى. فضلاً بالطبع عن ثرائها التعدينى. وهى خصائص جعلتها منطقة ذات أهمية بالغة بلا شك على المستويين السياسى والاقتصادى وبمنطقة الشرق الأدنى القديم.

وفيما يتعلق بالعناصر البشرية التى استوطنت هذه المنطقة فيمكن القول أنه بالرغم من صعوبة تتبع الهجرات التى وفدت على هضبة الأناضول، إلا أنه يمكن تمييز البعض منها. مثل



الجماعات التي وفدت إليها من أوروبا في بدايات عصر استغلال المعادن لتستقر على طول الجانب الآسيوي من بحر إيجه قبل توغلها في الداخل.

أما ثانية هذه العناصر فهي المعروفة باسم «الآسيائيون» والذين سكنوا وسط الهضبة حتى نجحوا في السيطرة عليها سلميا منذ نهاية الألف الثاني قبل الميلاد. ونظرا لسبقهم لمرحلة وفود القبائل الحيثية فقد اصطلح على تسميتهم «بما قبل الحيثيين Proto - Hittite». ويمثل الحيثيون ثالث هذه العناصر وأشهرها، وهي جماعات هند أوروبية تنابعت في عبور البسفور والتوغل في آسيا الصغرى. ويميزها ثلاثة شعوب كبرى هم اللويانيون أول من وصل للهضبة وقام بتدمير حضارة عصر البرونز المبكر وقد استوطنوا غرب كليشيا، واستخدموا خطا خاصا بهم أطلق عليه الهيروغليفية الحيثية. أما الشعبان الثاني والثالث اللذان لحقا بالأول فهم، البلابكيون الذي استوطنوا منطقة سيفاس. والنساييتيون أو النيسيون (نسبة لمدينة نيسا) وقد استوطنوا كبادوكيا. وقد سموا بالحيثيين بعد فتحهم مركز هضبة الأناضول شرق أنقرة والذي كان معروفا باسم «حاتي»، نسبة للحاتيين القدماء، وليس إلى حث بن كنعان بن حام كما يرى البعض. وقد تسمى الفاتحون الجدد به وصار الاسم الذي اشتهروا به وأطلق على إمبراطوريتهم التي لعبت دورا لا يستهان به في صياغة تاريخ الشرق الأدنى القديم إبان الألف الثاني قبل الميلاد.

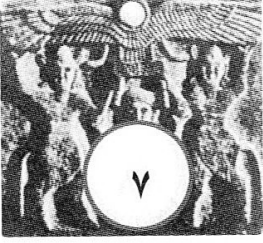
ثانيا: عصور ما قبل التاريخ

«الإنسان في الأناضول بين التحدي والاستجابة»

تعانى مرحلة التكوين الحضارى لمنطقة الأناضول (آسيا الصغرى) من افتقار للأدلة الأثرية التى من شأنها إمارة اللثام عن هذه الفترة المبكرة من تاريخ المنطقة وحضارتها، فضلا عن رسم صورة لتتابع الحضارات بشكل واضح. وعلى الرغم من أن الجهود التى بذلت فى هذا الشأن قد بدأت منذ مطلع هذا القرن إلا أنها صادفت العديد من العثرات بحكم الطبيعة الوعرة للمنطقة، فما حال دون ارتياد بعض أجزائها أو تتابع الكشوف فى البعض الآخر.

بيد أن ثمة ملاحظة جديرة بالتأمل وهى تأخر العصر التاريخى بها حتى الألف الثانى قبل الميلاد، فى حين أدرج عصر البرونز المبكر كآخر مرحلة من عصور ما قبل التاريخ.

وإذا كان هذا الأمر هو حال المراحل السابقة على العصر التاريخى بالأناضول فإن بدايات ما قبل التاريخ لم تكن بأسعد حالا فى دراستها وضبط إيقاعها الزمنى، ونعنى بها فترتى العصر الحجري القديم والوسيط.



بالنسبة للعصر الحجري القديم (الباليوليثيك) والعصر الحجري الوسيط (الميزوليثيك) فقد شجعت الظروف المناخية في عصر البليستوسين الإنسان لارتداد المنطقة، وهو ما يمكن رصده باكتشاف بعض الأدوات الأولية لاسيما الفأس اليدوية Hand axe التي استخدمها الإنسان دفاعا عن نفسه ضد مخاطر البيئة. عندما كان يعيش على الصيد وجمع الغذاء من مساحات شاسعة حيث أقام في الملاجئ الصخرية والكهوف.

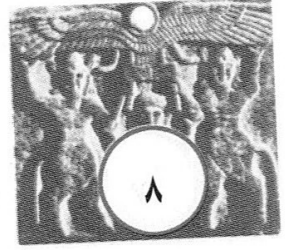
ومن الملاحظ أن الآثار التي عثر عليها من هذه المرحلة الحضارية في الأناضول قد وجدت في الجهات التي تحف بالهلال الخصيب مثل فلسطين وكرديستان العراقية وإيران، وفي منطقة إنتاليا على الشاطئ الجنوبي للأناضول. وفي كابلين (قرب إسبرطة) ومغاراسيك عند منحدر ماساداجي قرب إنطاكية. كما كشفت الحفائر الحديثة في وديان دجلة والفرات العليا جنوب شرق الأناضول عن وجود مراكز جديدة للاستيطان خلال هذين العصرين، زحرت بالنقوش والزخارف الفنية الطبيعية.

بيد أن أفضل المواقع التي تمثل هذه الفترة هي كهف كارين الذي كشف عن ثمانية طبقات تغطي العصر الحجري القديم بمراحله الثلاث. الأسفل والأوسط والأعلى، حيث عثر على أدوات من الظران تتميز بتعدد استخدامات الواحدة منها سواء كانت مكاشط أم فأسا يدوية. كما تميزت بتطورها لاسيما في مرحلة العصر الحجري القديم الأعلى وتنوعت لتشمل أدوات القطع والأزاميل فضلا عن ظهور الأدوات القزمية. حيث لم يختلف إنسان هذه المرحلة الحضارية عن قرينه في مناطق الشرق الأدنى القديم. وقد زاد في تطويره لأدواته بتثبيتها في مقابض صنعت من قرون الوعول والعظام والخشب، والتي استخدمت على نطاق واسع إبان العصر الحجري الوسيط والذي تمثله بشكل أساسي في المنطقة حضارتى بلباشى Belbasi وبلديبي Beldibi.

كما قام إنسان هذه الفترة بمحاكاة نظيره في أوروبا، وذلك بزخرفة جدران مناطق إيوائه من كهوف وملاجئ صخرية ببعض الأشكال المعبرة عن الخصوبة والصيد ذات المدلول السحري، حيث استخدم في هذه الزخرفة أكسيد الحديد الأحمر، وتعد زخارف منطقة بلديبي خير أمثلة على ذلك.

أما الحفريات العظيمة لبقايا الإنسان من هذا العصر فتشير إلى استيطان إنسان نياندرتال والهومو سابيان في هضبة الأناضول، ويعد كهف سنيورك خير دليل على هذا الوجود البشري.

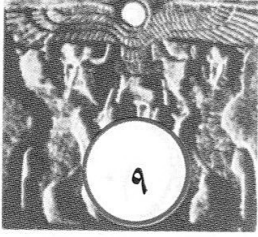
أما العصر الحجري الحديث (النيوليثيك) فهو العصر الأكثر وضوحاً في معالنه حيث يمثل مرحلة الاستقرار وإنتاج الطعام بالمنطقة وقد أطلق عليه تعبير «ثورة النيوليثيك». لكون تعامل الإنسان فيه مع معطيات بيئته يعد بمثابة ثورة حضارية حقيقية وإن كان بعض الباحثين يميل إلى اعتباره تطوراً حدث عبر ملايين السنين وليس ثورة فجائية وهو ما نميل إليه لكونه الامتداد الزمني الطبيعي للجهد البشري منذ حوالي خمسمائة ألف عام قبل الميلاد وحتى نهاية قرابة عام ٥٥٠٠ ق م.



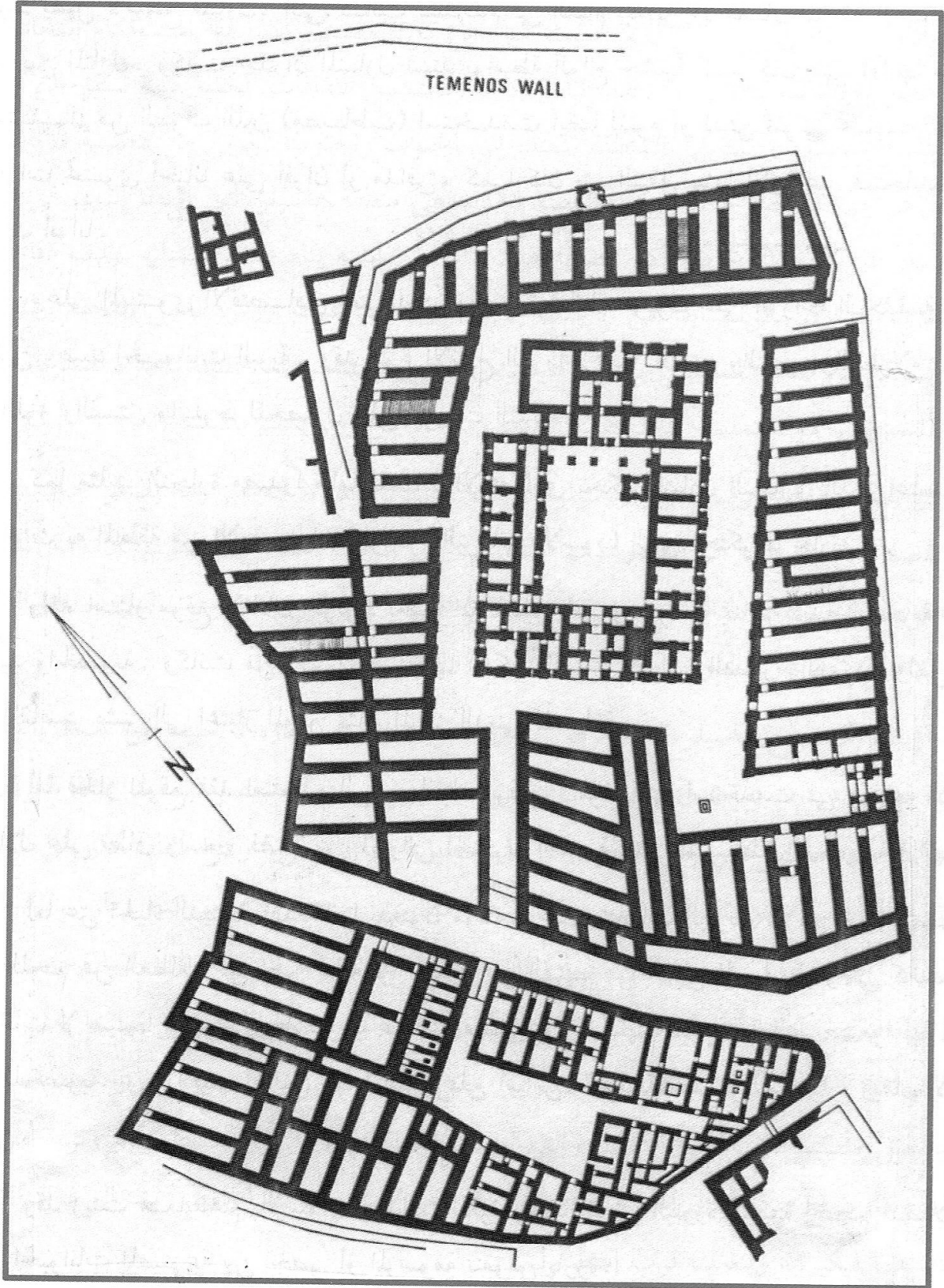
أدوات من إنتاج المنطقة في عصور ما قبل التاريخ

وتعد تلال منطقة ديار بكر وأهمها تل شايونا Cayoun ومنطقة بحيرة الملح في وسط الهضبة ومنطقة بوردور إسبرطة في الجنوب الغربي، أسرع تطوراً في تبينها لأنماط الاستقرار الحياتية من زراعة وتربية الحيوان. ساعد على ذلك نسبة توافر المواد الخام لا سيما الطران والأوبسديان لصناعة أدوات الزراعة وغيرها من الأدوات المستخدمة في هذا النشاط.

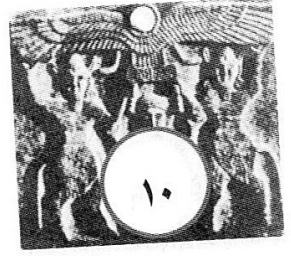
وعلى الرغم من أن مناطق دياركبير وبوغاز كوي وماسيلر Hacilar (لحوالي ٢٥ كم جنوب غرب بوردور) يعدان أقدم مناطق الاستقرار بين مواقع هذا العصر، إلا أن أوضح الأمثلة في هذا



المقام التي يمكن اتخاذها كنموذج لموقع نيوليثي هي منطقة شاتال حويوك (Catal Huyuk) الواقعة لحوالي ٢٥ كيلو مترا جنوب شرق سهل كونيا جنوب الأناضول. والتي تبلغ مساحتها حوالي ٣٢ فدانًا كأضخم موقع أثرى من هذه الفترة في منطقة الشرق الأدنى القديم.



تخطيط للمعبد الرئيسي بمدينة (بوغاز كوي)



وقد امتدت مرحلة استيطانها من ٦٥٠٠ إلى ٥٧٥٠ ق م تقريباً، حيث اتخذت بيوتها شكلاً مستطيلاً وتتنظم بجانب بعضها البعض في شكل مجموعات حول أفنية. وقد استخدم الطوب اللبن في بنائها الذي تباينت ارتفاعاته. كما افتقدت المنازل للأبواب حيث كان يتم دخولها باستخدام سلم متحرك يصل لأسطح المنازل، التي كانت تستخدم في القيام ببعض الأعمال المنزلية أو كمجازات تصل بين المنازل. وكانت جدران المنازل تسند بواسطة ألواح خشبية كما كان يبنى أمامها مقاعد للاستقبال من الطوب اللبن (مصاطب) استخدمت أيضاً للنوم أو لدفن الموتى تحتها. وكانت الحجرات تحتوي أحياناً على أفران أو مدافئ، كما كان يتم التنقل بينها أيضاً عبر فتحات علوية وليست أبواباً.

وعلى المستوى الاقتصادي اعتمدت حضارة شاتال هويوك على الزراعة الكثيفة وتربية المواشى وصيد الحيوانات البرية. وقد تنوع الإنتاج الزراعى بين القمح والشعير والبازلاء. فضلاً عن اللوز والفسق والبلوط للحصول على الزيوت النباتية.

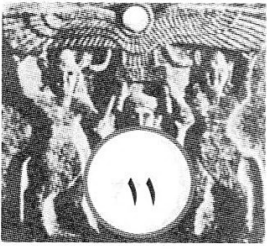
كما مثلت التجارة مصدراً هاماً للنشاط الاقتصادي بحكم التبادل التجارى الذى اعتمد على ما زخرت به المنطقة من الأويسيديان (الزجاج البركانى الأسود) الذى احتكرت تجارته.

ولقد امتاز موقع كاتال هويوك بكثرة المقاصير التى زخرت بمناظر دينية سحرية ترتبط بالصيد والخصوبة. وكانت من أهم موضوعاتها أشكال الثور والغزال والنسور والفهود. ولعل كثرة هذه المقاصير يشير إلى اعتبار الموقع بمثابة المركز الدينى للمنطقة.

أما فخار الموقع فقد استخدم إلى جانب غيره من المواد التى استخدمت فى صناعة الأوعية والسلال على نطاق واسع، فضلاً عن الأوانى الحجرية الخشبية التى لم يستطع الفخار مجاراتها.

أما عن الحياة الدينية فقد كانوا يدفنون موتاهم تحت منصات البيوت أو فى صوامعهم بعد إزالة اللحم عن العظام. فى حين صنعوا العديد من آلهتهم من الطين المحروق والتى كانت تمثل الحيوانات لا سيما الثور الذى انتشرت عبادته فضلاً عن عبادتهم للأمومة التى صنعوا لها تماثيل رمزا للخصوبة وربطوا بينها وبين عبادة الثور على أساس الخصوبة تضمن استمراره وبقائه لآلاف السنين.

وقد زينت معابدهم بالرسوم الجدارية الملونة أو بالنقوش البارزة كبيرة الحجم فضلاً عن تماثيل الحيوانات المصنوعة من الجص أو المرسومة بنقوش بارزة.

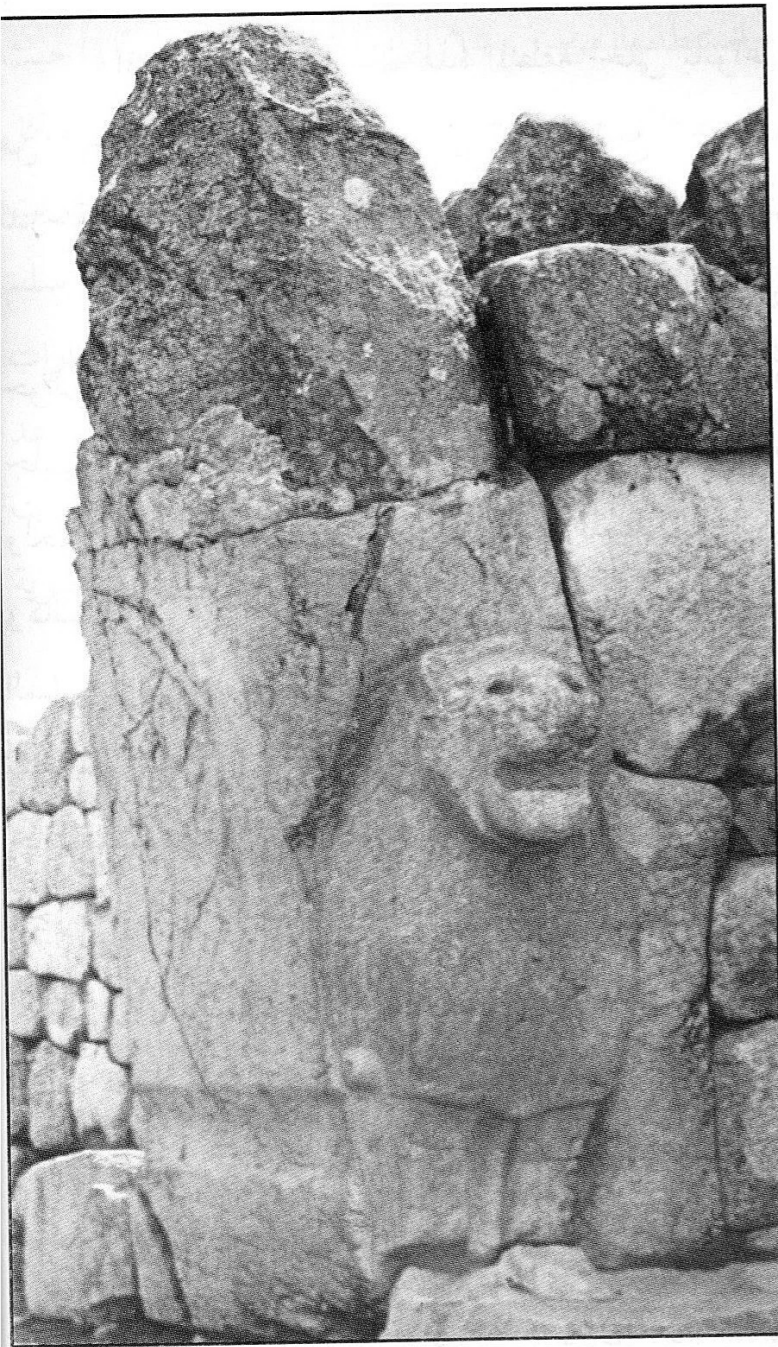
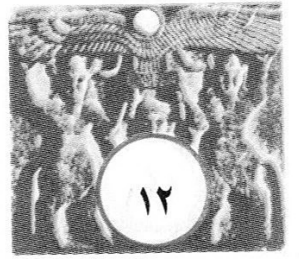


ولقد استخدم إنسان هذه المنطقة الحلى بأنواعها المتعددة - والمصنوعة من النحاس في الغالب - على نطاق واسع، حيث عرف عنه ولعه بذاته لدرجة العبادة كما نجحوا في صناعة أختام زخرفة المنسوجات.

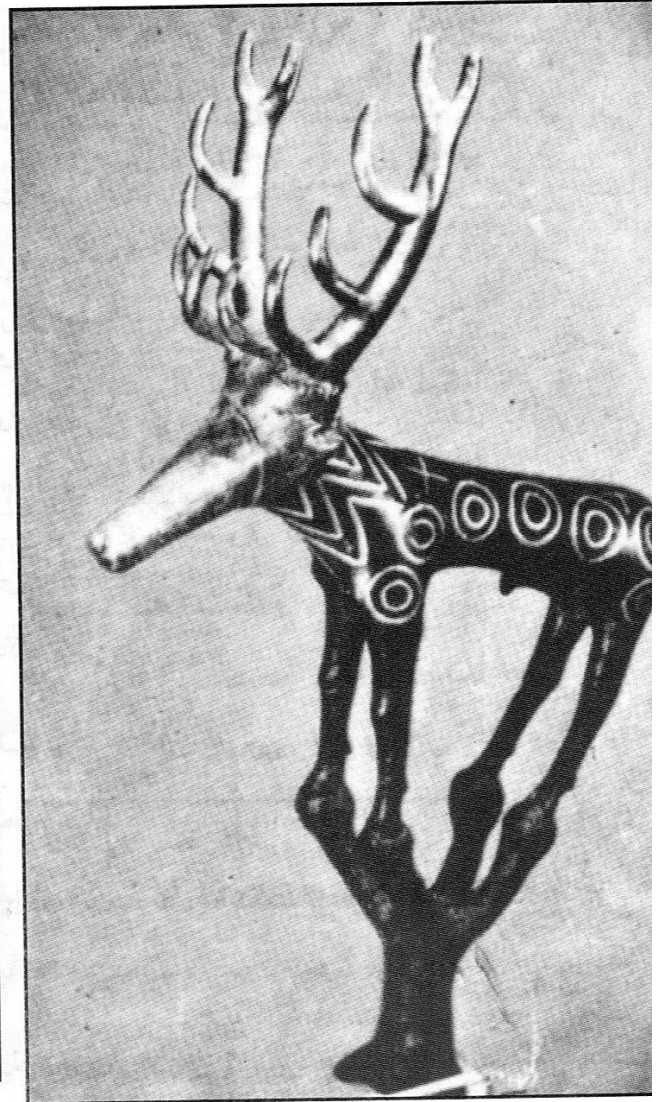
أما عصر الحجر والنحاس (الكالكوليثيك) فيمثل مرحلة التطور الحضارى التالية ويمتد من حوالى عام ٥٥٠٠ إلى ٣٢٠٠ ق م حيث تميز مثل كل العصور المشابهة باستخدام النحاس إلى جانب الحجر وبالنسبة للأناضول فقد بدأت الاختلافات بين الثقافات المحلية فيه تسفر عن وجهها ولكن بشكل محدود وذلك فى المنطقة الممتدة إلى الجنوب والجنوب الغربى من هضبة الأناضول. وكانت أكثر هذه المناطق لحاقاً بركب العصر الجديد هى منطقة هاسيلر التى أشرنا إليها فى العصر السابق وإن تميز بميزات خاصة أكثر تطوراً حيث زاد على أبنيته بناء حائط سميك بهدف دفاعى مع بقاء نمط بناء المنازل مماثل لسابقه فى الأغلب الأعم، وإن زيد عليه ورش العمل الملحقة بالمنزل فى جانبه الشرقى بالإضافة للمطابخ ومصلى صغير. أما فى المنتصف فقد خصص جزء لصناعة الفخار وجزء للتخزين. كما حملت المنازل طابعاً علوياً ومدخلاً مزدوجاً يتسم بالاتساع.

ورغم تشابه زخارف فخار هاسيلر مع شتال هويوك، إلا أنه تميز عنه بصغر حجمه ودقة صنعه فضلاً عن جدرانها الرقيقة وألوانها المتنوعة. كما عرفت التماثيل المعبودة للأومومة المصنوعة من الفخار المحروق، أما العظام فقد تطور النقش عليها فى حين استخدمت قرون الحيوانات لا سيما الوعول كمقابض للفئوس والأزاميل الحجرية والبازلتية.

ويبدو أن موقع هاسيلر قد تعرض لغزوة بشرية داهمت إنجازه لا سيما فى مستوياته الستة الأولى حوالى عام ٥٦٠٠ ق م ذلك أن الفترة المتأخرة من هذا العصر ليست ممثلة بالموقع. إذ حلت بدلا منها منطقة كوروكاى هويوك التى تميزت بإنتاجها المعدنى، وكذا منطقة كارتاش سمايوك ومنطقة خان حسن جنوب بحيرة الملح. فضلاً عن منطقتى مرسين - يومو كته وطرسوس جنوب الأناضول. حيث تقابل هذه المواقع حضارة تل حلف وحضارة العبيد بالعراق. كما وجدت مواقع بشرق الأناضول أيضاً تمثل هذه الحضارة التى تميزت بوجود عجلة الفخرانى بها بما يعنى توصل أهلها لصناعة الفخار المنتظم بدلا من اليدوى. ومن أشهر هذه المواقع منطقة كاراز. ومواقع وسط الهضبة مثل منطقة اليشار فى الشمال التى عرفت البدايات الأولى لاستخدام البرونز. أما غرب الهضبة فيعد موقع بيكسلطان أهم هذه المواقع. فى حين ينتسب لهذا العصر بشمال غرب الهضبة موقعان هما فيكيرته وبنديك قرب إسطنبول.

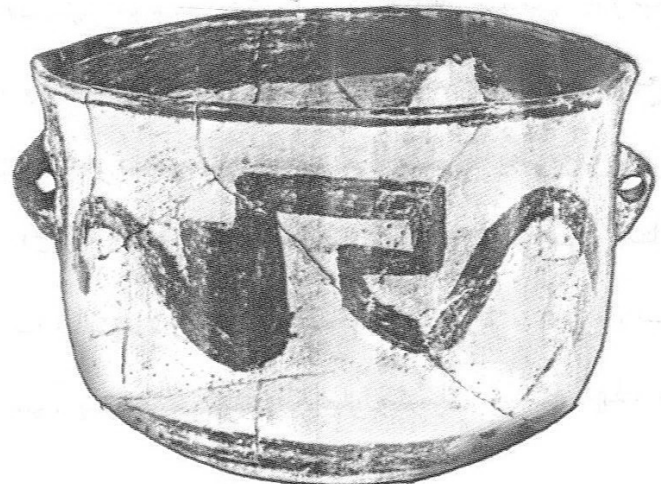
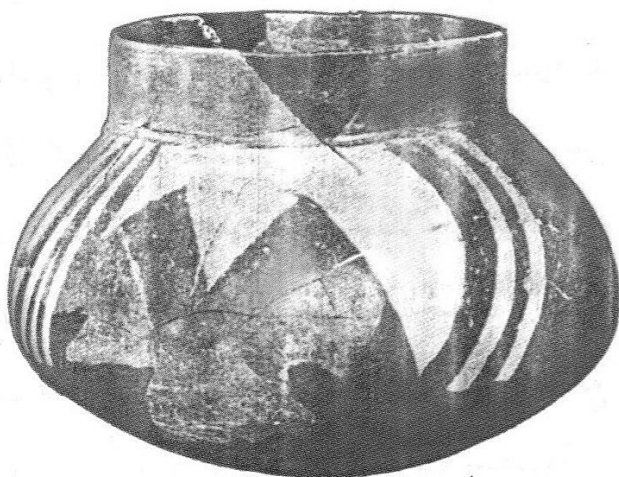


أسد منحوت في صخرة بوابة بمدينة (بوغاز كوى)

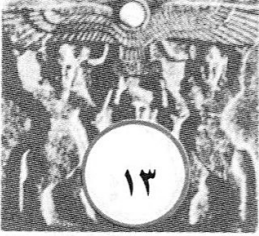


ثال وعل من النحاس مطعم بمادة الألكترولوم -

مدينة الأكاهويوك سنة ٢٢٠٠ ق م



أوان فخارية من المنطقة من عصور ما قبل التاريخ



ولعل ما سبق يجعلنا ندرك أن الأمر أصبح مهياً لاستقبال عصر جديد هو عصر البرونز المبكر الذي يتميز ببداية تكوين المدن على أساس أن نشاط استغلال المعادن قد دفع بها لآفاق رحبة من الإبداع الفني والمعاملات الاقتصادية وما لها من انعكاسات على السياسة والدين والمجتمع بعامه. ويمتد

هذا العصر من ٣٢٠٠ إلى ١٨٠٠ ق م تقريبا. حيث يعد معدن البرونز الذي استمد منه العصر

برمته اسمه هو محور النشاط البشري والأساس الذي قام

عليه نمو المدن بهضبة آسيا الصغرى (الأناضول). وإن كنا

لا نغفل أهمية الذهب والفضة إلى جانب البرونز، حيث

بلغت عدة مواقع مبلغا طيبا في صناعته وتشكيله بالصهر

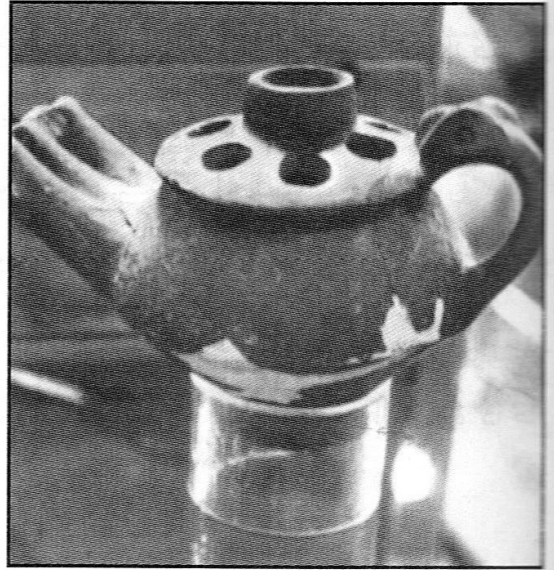
والطرق بعد تمرسها في استغلال معدن النحاس الذي تعد

منطقة كايونو أولى مناطق استغلاله فنيا. وقد انعكس

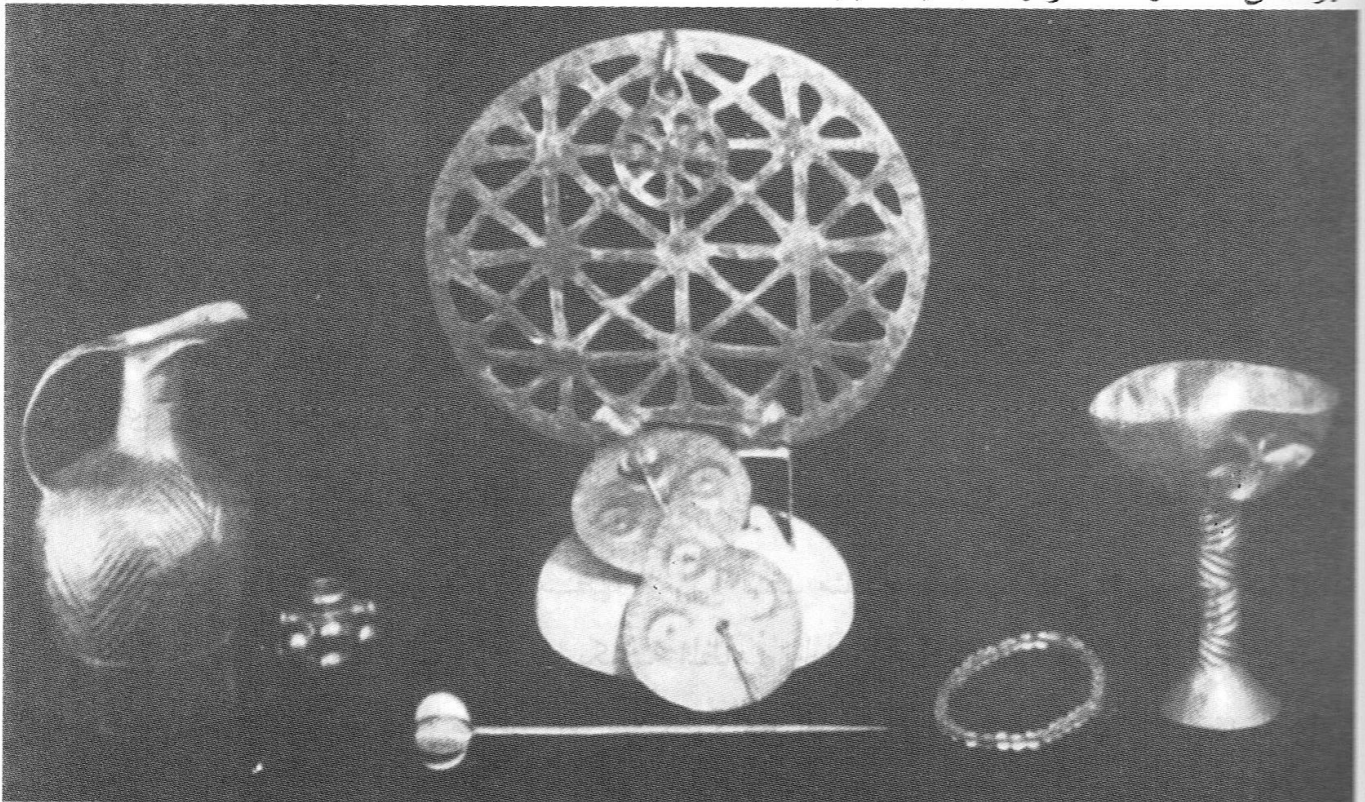
ذلك على تطور هذه المدن اقتصاديا بالتوسع في إنتاجها

المعدني استخراجا و تصنيعا وتجارة حتى غدت مدنا

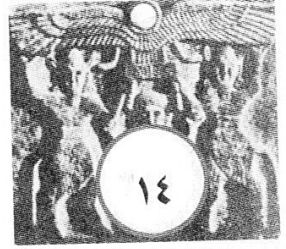
مستقلة لكل منها كيان مستقل بذاته.



براد من الفخار الأحمر وجد بمدينة حيشية



مصاغ ذهبي عشر عليه في مقابر مدينة الأكا هولوك



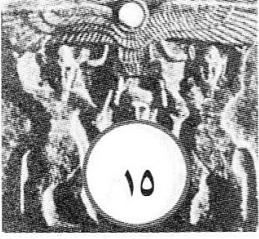
ومن أشهر هذه المواقع تبة أرسلان فى إقليم مالائتا، التى عثر فيها على كمية ضخمة من المشغولات المعدنية لاسيما الأختام الأسطوانية والمربعة. فضلا عن السيوف والسكاكين وغيرها من الأدوات التى زخرفت بذات الزخارف الخاصة بالآنية الفخارية. فضلا عن المنقوشة منها والتى سادت منطقة بولور (ساكيول). أما منطقة تبة نورشون فمن أهم المواقع التى ترجع لهذا العصر حيث ترجع أهميتها للعمائر المبنية بالطوب اللبن كالقصور والمعابد التى حفلت بالعديد من الزخارف. كما عثر بالموقع على أنواع مختلفة من الحلى المعدنية التى تؤكد أنماطها الفنية على الاتصال الحضارى بين مناطق شرق ووسط وغرب الأناضول، والذى ساعدت عليه التجارة التى جعلت من المدن مدناً غنية، لا سيما تلك التى تحكمت فعليا فى حركة التجارة بالمنطقة.

ومن أهم مواقع هذه المرحلة تبة أرسلان بمنطقة مالائتا، حيث أصبحت مركزاً لمدينة دولة متنامية منذ عصر الحجر والنحاس. يدل على ذلك ما عثر عليه من أختام طينية أسطوانية عند بوابة المدينة الرئيسية، ولا شك أن هذه الأختام كانت تستخدم فى ضبط إيقاع حركة التجارة داخل وخارج المدينة.

ولقد سادت هذه المرحلة عبادة تماثيل الأمومة المصنوعة من المعادن النفيسة والأحجار، والتى عثر على معظمها فى دفنات الجبانات.

أما فى أخريات مراحل هذا العصر فقد بلغت مواقع شمال وسط هضبة الأناضول مبلغاً رائعاً من التطور الحضارى. ومنها مواقع تبة هوروز واسكيا بار والكاهويوك وتبة إيكيكز وغيرها. وقد تميزت بجباناتها الغنية بمقتنياتها التى ضمت رفات الطبقة الحاكمة بهذه المدن التى عرفت نظام حكم المدينة الدولة. وقد زخرت حجرات الدفن بالعديد من الكنوز الأثرية، كالأوانى الذهبية والتيجان والصولجان الذهبية والحلى المصنوعة من المعادن والأحجار الكريمة. فضلا عن الأدوات المعدنية كالفأس والمطرقة وكذا بعض الأعلام ذات المغزى الدينى والأدوات الموسيقية. هذا فضلا عن الأوانى الفخارية المصقولة ذات اللون الأحمر. ويبدو أنها فاقت مثيلاتها بمنطقة تبة أرسلان.

أما حضارة غرب الهضبة ووسطها الغربى فقد مثلته عدة مواقع مثل يورتان Yortan بيكسلطان وتروى Troy. والتى زخرت بكافة المظاهر الحضارية لهذا العصر لاسيما الصناعات المعدنية وخاصة البرونز، بكل ما لحق بها من تطور فى الشكل والصناعة والمادة المستخدمة بما لا يتسع المجال لذكره تفصيلاً. أما شرق الأناضول فقد تميز بالفخار المزخرف الذى برع فيه إنسان تلك المنطقة مقارنة بأقرانه فى المناطق الأخرى.



ولعل من نافلة القول أن نشير إلى مسميات هذه الهضبة وهى تركيا والأناضول وآسيا الصغرى. فبالنسبة للمسمين الأولين فإن تركيا كانت تعنى الأناضول فى الإشارة إلى منطقة جغرافية محددة انتظم سكانها فى القومية التركية وتحديثوا اللغة التركية. ولقد ظلت كلمة الأناضول (أناضولا حسب النطق التركى) غير ذات معنى حتى القرن العاشر الميلادى، إذ كان يستخدم بدلا منها للإشارة للمنطقة كلمة آسيا الصغرى Asia Minor، لاسيما فى الكتابات الكلاسيكية وذلك تميزا لها عن قارة آسيا.

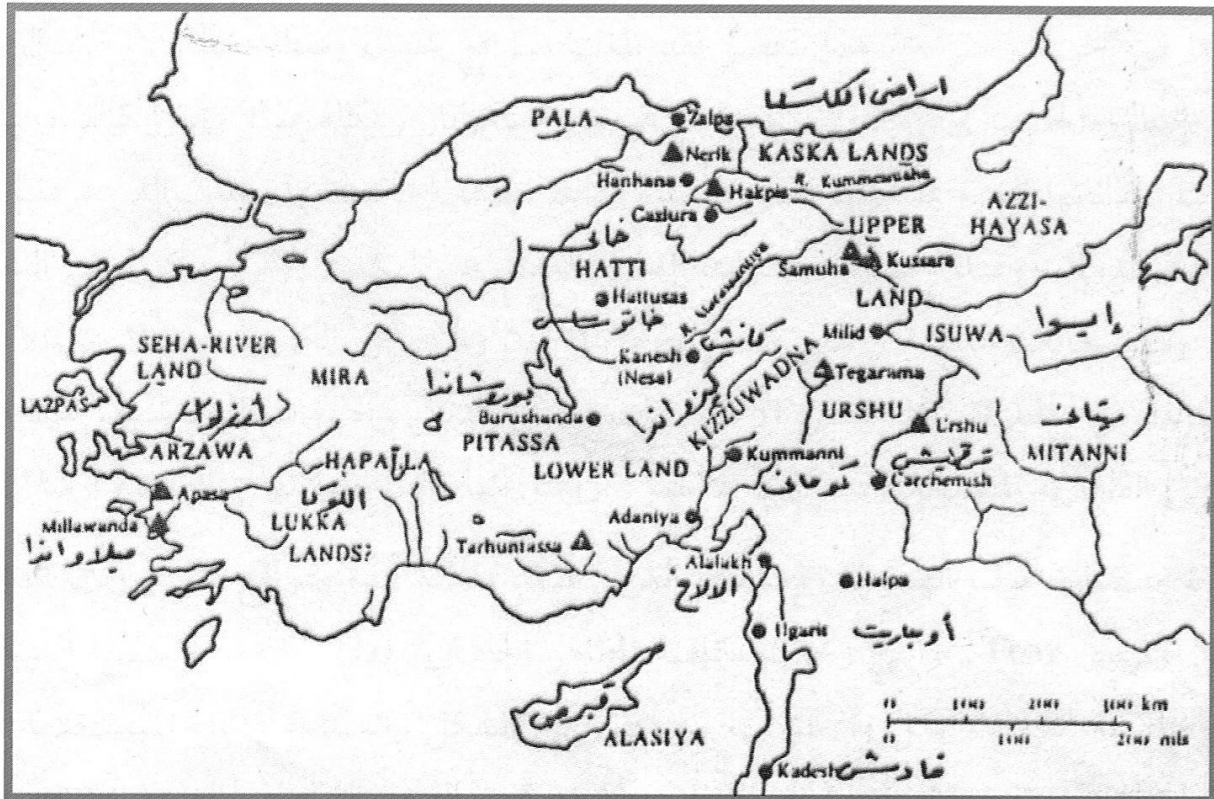
والجدير بالذكر، أنه فى مرحلة ما قبل العصر الكلاسيكى لم يكن للمنطقة اسماً محدداً على الإطلاق، لعدم توحيدها سياسياً ولعدم تحديد حدودها بشكل قاطع، أو بمعنى آخر وجود كيان سياسى لها يمكن تعيينها به، مما يؤكد دور البيئة الواضح فى التحديد السياسى.



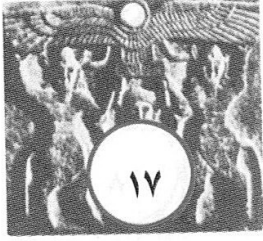
الفصل الثاني الإطار التاريخي لمنطقة الأناضول

أولاً: التكوين التاريخي ومرحلة المستعمرات الآشورية التجارية:

مما لا شك فيه أن البدايات التاريخية الأولى لهذه المنطقة ما تزال محل جدل. وفي المجمل فقد عرفت منطقة شبه جزيرة الأناضول نظام المدينة الدولة منذ عصر البرونز المبكر وحتى حوالي ٢٥٠٠ ق م حيث كانت تنقسم لحوالي عشر ممالك صغيرة يرأسها حاكم يلقب «أمير الأمراء». وقد استلقت هذه المنطقة بثرواتها وتقنياتها العالية في صياغة المعادن نظر التجار الآشوريين الذين سيطروا على مناطقها بحيث أصبحت بمثابة مستعمرات تجارية آشورية، وقد ارتبطت فيما بينها باتحاد يسمى «كاروم» يتوافر على رئاسته عميد «ليمو» لتنظيم العلاقة بين هذه المستعمرات التجارية. ولقد حظى زعماء هذه المدن في آسيا الصغرى بثروات واسعة بما حصلوه من مكاسب نتيجة انتقال المتاجر الآشورية عبر أراضيهم، إذ حرص أولئك التجار على الحفاظ على علاقات

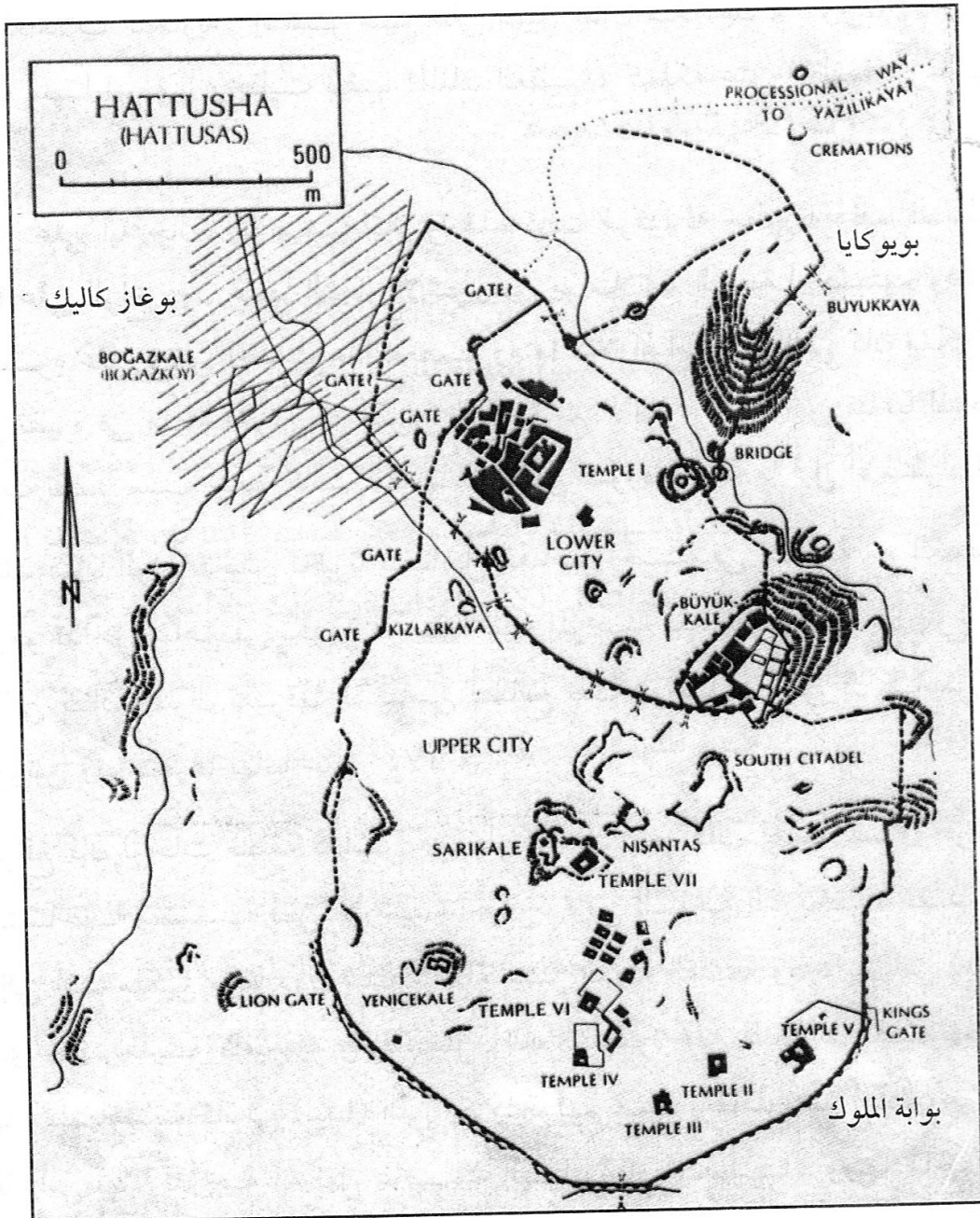


خريطة أقاليم المنطقة في فترة السيطرة الحيثية

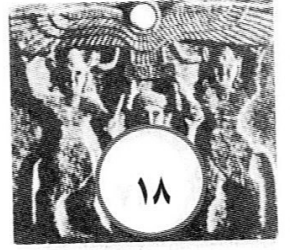


الود مع زعماء مدن الأناضول. وترجع أهمية هذه العلاقة تاريخياً إلى ما خلفته من مراسلات بين الجانبين، مثلت للباحثين مصدراً لإلقاء الضوء على هذه الفترة التي تعد أولى المراحل التاريخية للعصر التاريخي لشبه جزيرة آسيا الصغرى (الأناضول). وهي المرحلة المعروفة باسم مرحلة المستعمرات التجارية

الآشورية والتي تلتها مراحل الدولة القديمة ثم الدولة الوسطى وعصر الإمبراطورية، وأخيراً مرحلة ما بعد الإمبراطورية. بيد أن من الجدير بالذكر أن ثمة فرق بين هذه المرحلة المبكرة وبين بلاد حاتى (التاريخية) والتي اكتسبت اسمها من سكان المنطقة الأوائل «الحاتيون» والذين تعرضوا لغزوة هندو-أوروبية في بواكير العصر التاريخي الذي يبدأ فعلياً مع المرحلة الخاصة بالمستعمرات الآشورية والمؤرخة بحوالى ١٩٠٠ ق م. حيث نكاد نجزم بأن تعرفنا على مسميات ملوكها أقل من الإشارة



تخطيط عام لمدينة خاتوشاش



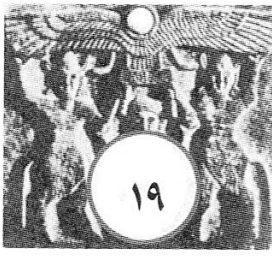
إلى تسميات هذه المدن أو المستعمرات التي تعرف عنها وعن مسمياتها من عصر دولة أكد. إذ ترجع أقدم إشاراتنا إلى حوالى عام ٢٢٠٠ ق م فى عهد نارام سين رابع ملوك هذه الأسرة ، الذى تشير نصوصه إلى محاربة حلف من سبعة عشر ملكا بينهم ملك حاتى المدعو «بامبا» وحليفه ملك أمورو. ولسنا ندرى على وجه التحديد هل حاربهم نارام سين فى إقليم حاتى أم أن ذكرهم كان مجرد دعاية أكثر منا حقيقة لسطوة هذا الملك العسكرية على المنطقة. رغم تسليمنا بكثرة حروبه لكن شيوع هذا النص خلال فترتين مختلفتين وبروايتين غير متطابقتين هو الذى جعلنا نتشكك فى الأمر كلية.

وجدير بالذكر أنه منذ عام ١٨٧٠ ق م. بدأت معرفتنا فى الزيادة عن المدن وحكامها أو ملوكها المحليين. علاوة على ما قدمه أرشيف التجار الآشوريين فى مدينة كانيش من معلومات عن طبيعة المعاملات التجارية. إذ نميز منهم على سبيل المثال ملكة مدينة بوروشاتوم (بروروشاندا) التى اتخذت منها اسمها وحظيت بلقب «الملك العظيم»، كملكة على منطقة الموحويوك جنوب بحيرة الملح.

ويبدو على أية حال، أن مدينة كانيش هذه كانت مركزاً له خطورته ونفوذه بالمنطقة حيث عثر بموقعها على ألواح دونّ عليها التجار الآشوريين مراسلاتهم اليومية لعاصمتهم وقد ألفت هذه الرسائل الضوء على بعض أحداث هذا العصر ومنها مثلاً المراسلات التى كان يشكو فيها أحد ملوكها إلى نظيره فى مدينة أخرى من ضراوة العداوة مع الأمراء المجاورين ساعياً للتحالف معه. وهى إشارات تفسر سبب تدمير كانيش نفسها، وتعطى صورة لمرحلة ما قبل الاستقرار السياسى.

كذلك فإن ألواح كانيش تخبرنا بتداخل العناصر الحيثية فى المنطقة مع العناصر الهندو-أوروبية، وهو تداخل ساهم فى تكوين الأمة الحيثية الموحدة بعد ذلك. وإن بدأ بنوع من الصراع بين المدن التى كان اختزال تفرقتها السياسى لصالح تلك الوحدة. حتى إن كانيش نفسها قد هوجمت مرتين وتم دحرها نهائياً عام ١٧٤٠ ق م.

والواقع فإن لوحات منطقة كانيش فى نظر الباحثين تعد ذات أهمية تفوق أقرانها حتى إنه قد تم استنساخها وتضمينها فى الأرشيف الحيثى. ومن الناحية التاريخية، فقد أشارت هذه اللوحات إلى اسم ملكين سبقا دون شك مرحلة عصر الدولة القديمة وهما بيثاناس (بيتخانا) وأبنة أنيتاس الذى حكم مدينة كاسورا، وكافح مثل والده للسيطرة على المدن التى ضمنها قائمة بالمدن التى فتحها ومنها مدينة كانيش (نيشا) التى ركزوا قوتهم فيها وتعاملوا مع أهلها من بنى جلدتهم معاملة لا بأس بها. لدرجة أنه نقل عاصمته إليها وأعاد تحصينها. ومنها هاجم خاتوساس وبوروشاندا وزالبوا وسالايوارا، منتحلاً لقب «الملك العظيم».



والواقع فإن تضارب الخط الخاص بكتابة نص أنيناس قد جعل منه في نظر الباحثين مجرد أسطورة تضمنها نص ولكن مشكوك في صحته. وإن كانت ثمة فائدة من ورائه فهي ما يراها البعض من كون هذه الانتصارات - إن صحت تعد سبباً وجيهاً لإنهاء النشاط وبالتالي النفوذ الآشوري بالمنطقة على المستويين التجاري والسياسي.

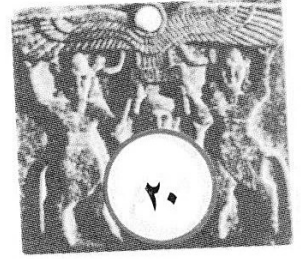
على أية حال فإن المرحلة التالية قد لفها الغموض لعدم توافر الأدلة التي يمكننا معها تتبع حركة التاريخ بمنطقة الأناضول حتى نصل إلى ذلك النص الذي أشرنا إليه في مدخل هذه المرحلة الذي يعد إشارة على بداية عصر تاريخي جديد، هو مرحلة الدولة القديمة رغم كل التحفظات عليه.

ثانياً: مرحلة الدولة الحيثية القديمة

تبدأ هذه المرحلة حوالي عام ١٧٠٠ ق م. ممتدة لقرنين من الزمان. وقد عرفنا أنه ربما يعزى إلى الملك لابارناش تأسيس الدولة الحيثية حسب نص الملك تليينوس. حتى إن اسمه واسم زوجته تواناناش قد أصبحا بمثابة ألقاب تشريفية تسبق أسماء الملوك المتعاقبين من بعدهم.

وقد أشار النص إلى أن لابارناش الذي اتحد مع أفراد أسرته قد أخضع مدن خوبيسنا وتوانورا ونياسا ولاندا وزالارا وبارشوهاندا ولوسنا وجعل البحر حداً له، وعندما انتهى القتال حكم أولاده البلاد بعدما قسمت بينهم المدن الكبيرة، أما دون ذلك فلا نعرف المزيد من عهده ولا علاقته بالملك خاتوسيللي الذي خلفه على حكم مملكة خاتى وإن كان النص يُعَلِّق من شأن وحدة الأسرة الحاكمة وبالتالي وحدة المدن التي حكموها، مما مكنهم من السيطرة على مساحة من الأناضول مترامية الأطراف حكمت من العاصمة كوسارا السابقة على خاتوساس في الغالب. حيث نجح بالفعل في سنى عهده الست من وقف خطر الحوريين القابعين شمال الرافدين والطامحين في اجتزاء ملكه بالتحالف مع حكام حلب مستغلين التصدع الوقتي لوحدة الأسرة على يد ابنة خاتوسيللي. الأمر الذي دفعه حَسَماً للصراعات لاختيار حفيده مورسيللي خلفاً له.

ولم يخيب هذا الأخير ظن جده حيال سحق الحوريين وحليفتهم حلب بل ودحر بابل، بيد أن غيابه عن العاصمة فتح الباب لاضطرابات سياسية أودت بحياته قبل أن ينعم بشمار انتصاره.



لتصبح أطراف خاتي عرضاً
مستباحاً خارجياً بنفس قدر
استباحة عرشها داخلياً

ولنصف قرن، حتى قيض القدر لها تيليبيينوس
الذي يمثل عهده نهاية مرحلة الدولة الحيثية
القديمة. وقد أعاد فيه الأمور لنصابها لا سيما
قانون وراثته العرش لحقن الدماء بين المتصارعين.
حيث جعل الوراثة بتتابع الأجيال من الذكور ثم
من يتزوج من الأميرات إذا عدم الأمراء
للحكم، وفي كل الأحوال تصدق الجمعيات
المحلية على الاختيار ضماناً للاستقرار.

أفريز حجري من مدينة قرقيش

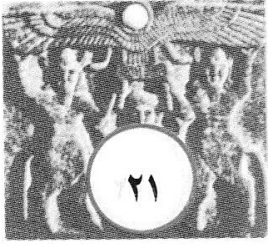
يصور صفًا من الجنود

ثالثاً: مرحلة الدولة الحيثية الوسطى:

تعد هذه المرحلة فترة انتقال بين مرحلتين ومدخلاً لعصر الإمبراطورية، حيث شهدت حكم
ثمانية ملوك ما تزال الآراء متضاربة حيالهم لقلّة مصادر الفترة. وإن كان تجمع الحورين شمال
العراق في شكل دولة ميثاني قد دفع حكام خاتي خاصة تودهالياس الأول لخوض المعارك وإبرام
المعاهدات مع جيرانها لا سيما أن الطموح المصري في الإقليم السوري على عهد تحوتمس الثالث قد
تبدى جلياً. وهي سياسة نجحت جزئياً في تحقيق بعض الأهداف لمملكة خاتي مثل الهيمنة على
طرق التجارة أو التحكم في نحاس المنطقة. وإن فقدت فاعليتها في ضوء التحالف المصري الميثاني
وحتى فاتحة عصر الإمبراطورية ببزوع نجم شوبيلوليوما الأول.

رابعاً: مرحلة الدولة الحيثية الحديثة:

يطلق عليها عصر الإمبراطورية والتي وضع أسسها شوبيلوليوما الأول بعدما نجح في ترتيب
البيت من الداخل لينطلق من خاتوساس بعدة حملات و على كافة الجبهات الحدودية. كما استثمر
الصراع الداخلي في ميثاني باستقطاب أحد أطراف الصراع الذي أظهر أيضاً آشور كقوة ناشئة
بالمنطقة لإستقطابها الطرف الآخر من حكام ميثاني لينتهي الأمر بتقسيمها بين خيتا وأشور. وقد



تعامل بذات المنحى مع قرقميش وحلب
متوجا اثنين من أبنائه على عرشيهما، فى
الوقت الذى كانت تعاني فيه مصر من

تداعيات الآتونية حتى أنه تردد أن الدعوة المزمعة من إبنة
إخناتون للزواج من أمير حيشى كانت على عهد شوبيلوليوما
الأول. وقد جاء إجهاض هذه الدعوة بمثابة بداية النهاية
لطموحات هذا الملك الحيشى الذى أراد أن يضمن درء الخطر
المصرى سلما أو حربا لولا أن يد القدر كانت أسبق نحوه
فتوفى بالطاعون ومن بعده ولده ليثول العرش لابنه الأصغر
مورسيللى.

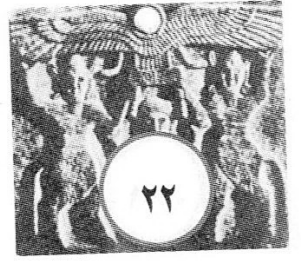


تمثال من البرونز عثر عليه
فى مدينة (بوغاز كوى)

على الرغم من أن كل ظروف المسرح الدولى كانت تشير إلى حتمية بدء مورسيللى الثانى
عهده بالاقتيال، إلا أن تباين الظروف على الحدود قد ميز سياسته حيالها. فقد جنبه الدور الذى
لعبته ميثانى كدولة حاجزة وبمساعدة قرقميش أية هجوم على الجنوب الشرقى، لا سيما الخطر



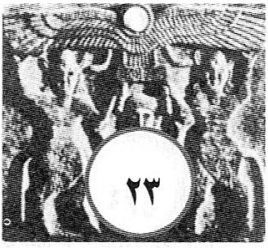
نقش على صخرة بمدينة يازيليكايا سنة ١٣٥٠ / ١٢٥٠ ق م



الآشورى: لأن مصر كانت لا تزال تعيد ترتيب أمورها الداخلية بعدما اعترافها من آثار الآتونية. إلا أنه خلال عهد حور محب فى مصر والذي كانت فيه لا تزال ترتب البيت من الداخل من خلال سياسة حاكمها الجديد المتوازنة والتي أكدتها تشريعاته، نجد فى المقابل ضياع قرقميش من حوزة مورسيللى الثانى. الأمر الذى استلزم تدخله بقوات نجحت فى إعادة الأمور لنصابها حيث عين عليها ابن أخيه، وذلك فى العام التاسع من حكمه ثم اتخذها منطلقاً نحو الشمال فى آخر حملاته لإخضاع منطقة إزى- هاياسا. بيد أنه بعد فترة وجيزة كان عليه وضع حد لتمرد أرساوا التى نصب عليها حاكماً من قبله. كما انضوت تحت لوائه بعض المدن والدول التى نظمت العلاقة بينها وبين خاتى كممالك تابعة لها معاهدة أبرموها مع مورسيللى. أما منطقة الكاسكاس (جازجا) فقد استمرت فى مهاجمة حدود الإمبراطورية الشمالية، وبلغ من خطرهما أن حوليات مورسيللى والتى غطت ربع قرن من حكمه الممتد لثمان وعشرين عاماً، قد أشارت إلى عشر حملات وجهها ملك خاتى إلى تلك المنطقة، نجح خلالها فى تطويق أرضها.

ولقد قام مورسيللى أيضاً بعدة حملات كان من شأنها توطيد نفوذه على الممالك التابعة، وهى سياسة استلزمته طبيعة الوضع فى المنطقة لا سيما بعد تجدد مطامع مصر فى سورية، وهجوم آشور على ميتانى ثم استعادتها. وقد كان معنى تطبيق هذه السياسة، هو عدم مد حدود الإمبراطورية لأكثر مما كانت عليه، إذ كان الهدف الأساسى من هذه السياسة هو الحفاظ على ما وصلت إليه حدودها فى ظل موازين القوى الموجودة بالمنطقة. ولقد كرس مورسيللى الثانى أخريات سنى عهده لإقرار هذه السياسة، حتى ولو استلزم الأمر التدخل فى شئون أية منطقة تهدد سياسة تثبيت حدود نفوذه. مثلما حدث من اضطراب فى ميلاواندا استدعى تدخله وإعادة حاكمها الهارب بايمارادوس لعرشه ضامناً بذلك خضوعها وتأمين حدوده لأقصى الشمال الغربى تبعاً لذلك.

ومن العجب أن مملكة كيزاواندا لم تحظ بذكر على عهده رغم مناوأتها له فى بداية حكمه، وهو الأمر الذى فسره المؤرخون إما بضياع ما يخصها من حولياته أو أنه ضمها إلى حوزة خاتى ولم يعد لها ذكر.



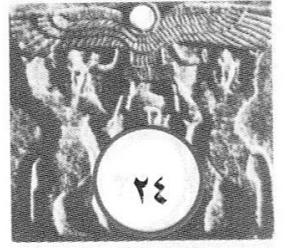
على أية حال فقد توفي مورسيللي بعد فترة من حكم زاخرة بالنشاط
العسكري والنجاحات فيه والتي لا تقل بحال من الأحوال عن نجاحات سلفه
نجح في توطيد دعائم المملكة حتى إذا ما استوى ابنه مواتاللي الثاني على
العرش. كان حقيق به أن ينعم باستقرار وهدوء على الحدود لفترة لم تدم طويلاً، لأن أهم قوة
كبرى موجودة بالمنطقة وهي مصر كانت قد انتهت من الترتيب الداخلي وعادات لترنو من جديد
إلى ملكها المنحسر خارجياً.

ومن ثم فلقد كان أول ما واجهه مواتاللي الثاني التهديد المصري لنفوذه في سوريا على عهد
فراعين الأسرة التاسعة عشرة، الأمر الذي أدى إلى مواجهة حاسمة بين الطرفين حوالى عام
١٢٨٦ ق م. في معركة قادش على نهر الأورنت حيث قاد فيها الجانب المصري الملك رعمسيس
الثاني ثالث ملوك الأسرة التاسعة عشرة.

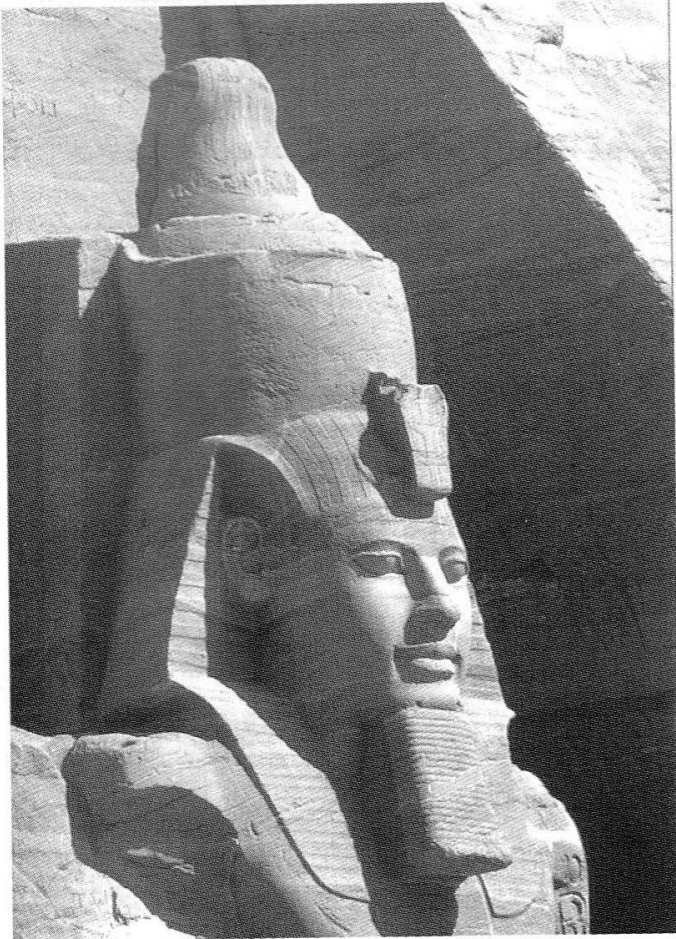
وتفصيل ذلك أنه منذ تولى الأسرة التاسعة عشرة تقاليد الأمور وهي تضع العمق السورى أو
الإستراتيجى كهدف رئيسى لاستعادته. ولعل ما قام به سیتی الأول من حملات سجلها على
الجدار الشمالى من صالة الأعمدة الكبرى بالكرنك، خير دليل على تفعيل هذه السياسة والتي
يعيننا منها نجاحه فى إقصاء أمير قرقميش الحيثى عن حكم الإمارة بعد هزيمة منكرة. الأمر الذى
كان من شأنه استعادة النفوذ المصرى على الإمارات السورية بنفس القدر الذى أثار حفيظة الحيثيين
الذين استعدوا لجولة جديدة ليس فقط لتأثر من إقصاء زعيم قرقميش ولكن لأن حتمية الصراع قد
فرضت نفسها على طرفيه وهى مصر وحيثا. فكانت المواجهة الحتمية فى قادش والتي كان النصر
فيها أقرب للحيثيين منها للفرعون المصرى الذى نجح فى تخفيف حدة الهزيمة بانسحاب إستراتيجى
على أعلى مستوى من العسكرية. وإن اعتبره نصراً بمدد من آمون خلده على أكثر من أثر له فى
مصر.

والواقع فإن مواتاللي قد دفع ثمن لقاء الجيش المصرى على يد مملكة آشور كانت خلال
المواجهة المصرية قد نجحت فى مهاجمة ميثانى وضمها لحظيرة النفوذ الآشورى، الأمر الذى جعل
حيثا رغم نجاحها فى السيطرة على شمال سورية تواجه تهديداً محققاً من الشرق ممثلاً فى آشور
ومن الغرب ممثلاً فى طلائع شعوب البحر على حد سواء، فى نهاية عهد مواتاللي الذى توفي
حوالى عام (١٢٩٤ ق م).

ولقد واجهت الأسرة المالكة مسألة وراثة العرش بوفاة مواتللي الذي لم يعقب وريثا من صلبه، في حين كان هناك أخوه خاتوسيللي الذي نصبه بعد نقل العاصمة للجنوب حاكما على المنطقة الشمالية الشرقية ليتفرغ هو للعمليات العسكرية على الأرض السورية. ومن ثم أصبح من المتوقع تولى أخوه العرش. بيد أنه



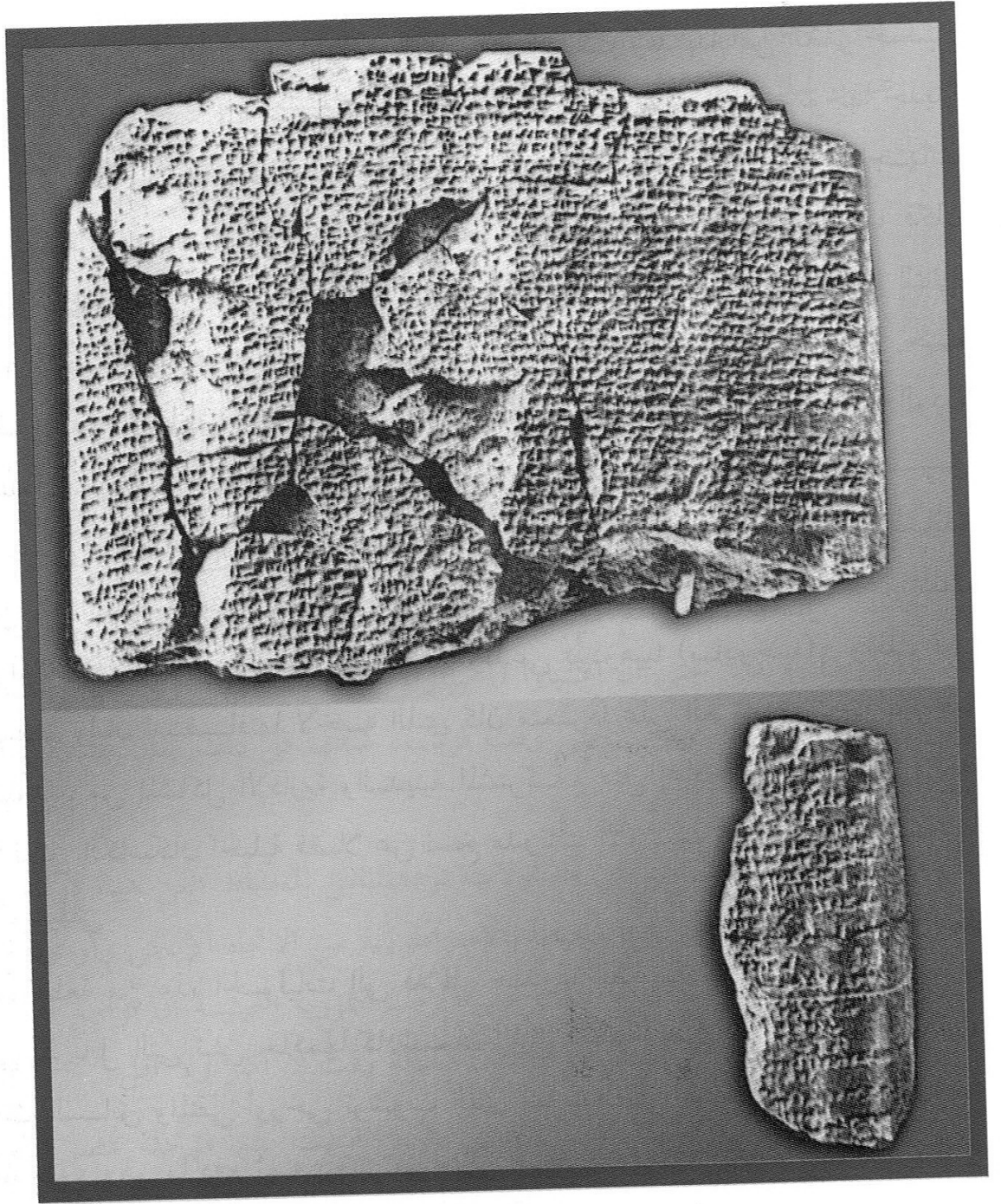
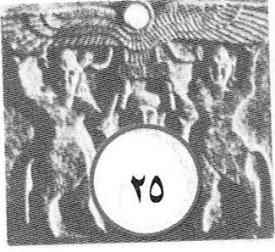
معركة قادش ويظهر فيها رعمسيس الثاني على عربته



رعمسيس الثاني (مدخل أبو سمبل)

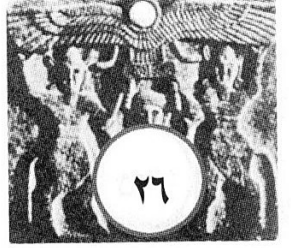


رعمسيس الثاني يؤدب أعداءه الآسيويين



بقايا معاهدة قادش بين مصر وحاثي

بتطبيق قانون تليبينوس في وراثة العرش، كان الأحق بالحكم ابن مواتللي ويدعى (أورحي - تيشوب) الذي كان أكبر أبناءه من إحدى محظياته. إلا أن هذا الوضع لم يدم لأكثر من سبع سنوات عانى فيها الابن من مناوئة عمه القوى، حتى نجحت انتفاضته في تولي العرش في النهاية. بعدما أعزى ذلك لإهانات لحقته من ابن أخيه دفعته للتمرد عليه ونفيه معزراً مكرماً إلى إحدى المقاطعات السورية. وأن الإلهة عشتار قد باركت ذلك. كمثال صارخ لتوظيف الدين لمصلحة السياسة.



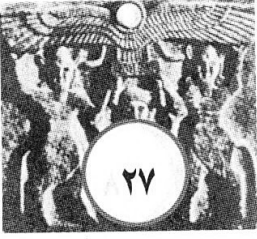
ومن ثم فقد دان العرش لخاتوسيللى الثالث وقد بلغ من العمر خمسين عاماً متوجة بحكمة سياسية ودراية عسكرية. وقد شهد عهده توجهها جديداً للسياسة الحيثية الخارجية غلبت فيه الدبلوماسية الهادئة على المواجهات العسكرية. إذ لم يكن من الحكمة فتح عدة جبهات فى وقت واحد، فكان

لابد من ضمان أقوى الجبهات وهى مصر. ومن ثم فقد قام بمفاوضات ناجحة مع رعمسيس الثانى انتهت بعقد المعاهدة الشهيرة بينهما والتى كانت أول معاهدة مكتوبة حفظها لنا التاريخ. حيث اعترف فيها كل طرف بحدود ومناطق نفوذ الطرف الآخر، كما تبعها العديد من المراسلات الودية ليس على مستوى الملوك، بل وبين الملكات والوزراء أيضاً. وهو الأمر الذى انتهى بزواج رعمسيس الثانى من ابنة خاتوسيللى الثالث ثم من أميرة حيثية، ليستكمل التحالف كل أبعاده فى المساندة المشتركة بين الطرفين لأى تهديد آشورى أو غيره يوجه إلى أى منهما لاسيما خيتا. كما دعم الملك الحيثى علاقته بكيزاواندا بزواجه من ابنة كاهنها الأعلى وتدعى بودوهيبا (بادوخيبا)، وذلك قبل إقرار المعاهدة مع مصر وإبان استضافتها لأخيه الذى كان متمرداً على العرش الحيثى وليوجها اهتماماً مشتركاً للعديد من المشاكل الإدارية والدينية المشتركة، مثل إعادة بناء خاتوساس بعد استعادتها من نهب قبائل الكاسكان الجبلية فضلاً عن نسخ مدونات الأرشيف الحيثى والتى تضمنتها جميعاً حوليات خاتوسيللى.

وقد أشارت قطعة من هذه الحوليات إلى قلاقل حدوده الغربية على يد أرزاوا وحدوده الجنوبية الغربية على يد بابل التى تبنى حاكمها كادشمان إنليل سياسة حيال خاتى تخالف سلفه، وربما بإيعاز من الملك السابق والمنفى أورخى توشوب الذى لم يتوان فى السعى لاستعادة عرشه بمساعدة أية قوة خارجية، وهو ما دفع ثمنه بتغيير منفاه إلى قبرص.

والواقع فلقد بلغ من قوة ونفوذ الملكة بودوهيبا أن فرضت ابنها تودهالياس الرابع خلفاً لوالده على عرش البلاد، حيث شاركته فى الحكم فترة. ولكونها من أصل حورى فقد غلبت ملامح الفكر الدينى الحورى على مثيله الحيثى فى تلك الفترة، ولكنه فى المجمل قد أولى اهتماماً بالأعياد الدينية جميعها وقام بإصلاحات فى عدد من المعابد.

والواقع، فإن الظروف التى واكبت تولى تودهالياس الرابع العرش على الصعيد الدولى، قد فرضت عليه ميراثاً من التبعات. ذلك أنه منذ أن وضع الصراع بين والده وبين أخيه أوزاره، ومناطق عديدة من الإمبراطورية الحيثية بدأت تتقلص منها. ومعظم هذه المناطق التى كانت تابعة لأسلافه أن تدين له بالتبعية أيضاً. وقد سرى ذلك على الشمال الغربى حيث طريق تجارة النحاس، إذ قاتل الحيثيون بإقليم أوسادا فضلاً عن قبائل اللوكيين وغيرهم. كما صعّد استقرار



آشور وتوسعاتها من خطورة الوضع على النفوذ الحيثي بالمنطقة، حيث وصلت على عهد شلمنصر الأول إلى الفرات الأعلى حيث سيطرت على مناجم النحاس بالمنطقة.

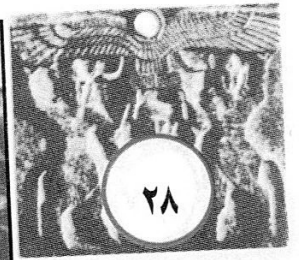
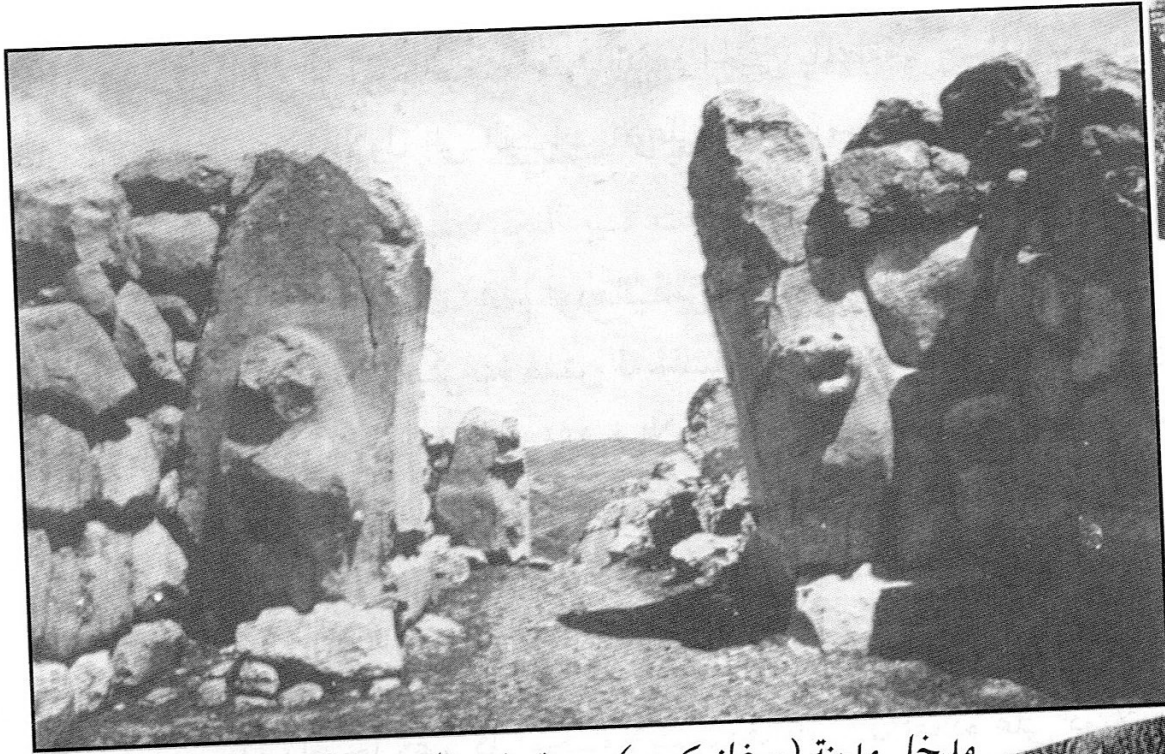
وعلى أية حال، فلقد نجح تودهالياس الرابع في المقابل وفي وقف التقدم الآشوري نحو قرقيش بما ضمن له استبقاء السيطرة على الساحل السوري. كما قام بغزو قبرص في محاولة للحصول على بعض الإمدادات من معدن النحاس تعويضاً لما فقدته على يد الزحف الآشوري. وقد قام بعقد تحالف مع أمورو كانت أهم بنوده التزام الأخيرة بعدم التعامل مع آشور تجارياً ألبتة.

وعلى العكس من الوضع في الجنوب الشرقي، فإن الشمال الغربي بدأت تعتمل فيه القلاقل من جديد، وبدا واضحاً رغم كل محاولات تودهالياس أن نفوذه على دويلات هذه المنطقة قد بدأ يتقلص رويداً رويداً، حتى أن اهياوا (أخيباوا) أصبحت من القوى التي يحسب حسابها بالمنطقة وهي التي كانت تابعة لخاتى حتى وقت قريب، شأنها في ذلك شأن ميلاندا وأرزاوا وبدرجات متفاوتة.

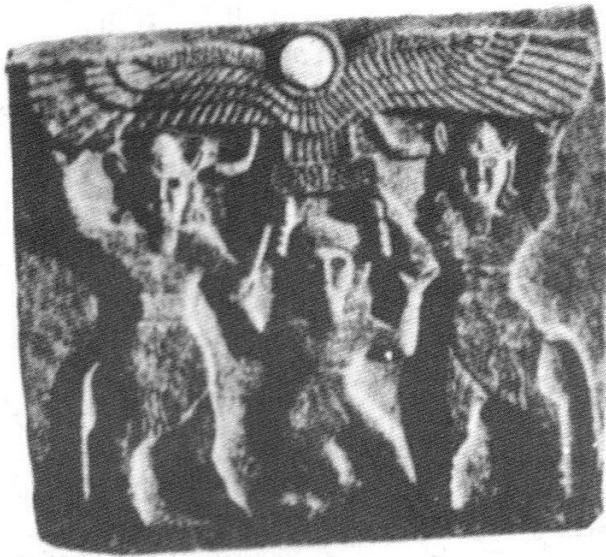
والواقع وبالرغم من كل محاولات تودهالياس للحفاظ على هيبة دولته إلا أن ما كان ماثلاً للعيان ذلك التهديد الذي بات محيطاً بالإمبراطورية من الاتجاه الإيجي وأوروبا من خلفه. حتى إذا ما حلت وفاته عام ١٢٢٠ ق م، كان على الإمبراطورية الحيثية أن تواجه قدرها المحتوم وأصبح زوالها قاب قوسين أو أدنى، أو كمال يقال مسألة وقت لا أكثر ولا أقل.

وقد مهد لذلك اعتلاء عرش خاتى ملكين انتهت بهما مرحلة عصر الإمبراطورية الحيثية، وأولهما ارنواندش الثالث، والثاني شوبيلوليوما الثاني. فعلى الرغم من السيطرة الأولى على أرزاوا. فقد شهدت فترة حكمها تداعيات عدة. تمثلت أولاً في هجرة الفريجين إلى آسيا الصغرى مصحوبة بتحريك مماثل من الإيجيين تجاه الغرب، فضلاً عن الموشكيين بزعامة متياس وبعض الشعوب الأخرى التي أطلق عليها اسم شعوب البحر وصلت في تهديدها للحدود المصرية حيث نجح الملك المصري مرنبتاح في صد هجومهم، في حين تكفل شوبيلوليوما الثاني بأن يواجه بقية هذه التداعيات بعد وفاة سلفه.

وأما الأمر الثاني فتمثل في الوضع الاقتصادي المتردى حيث تعرضت خاتى للمجاعة واضطرت إلى جلب القمح من مصر بعدما أصبح عدواً لأمس صديق اليوم أمام التهديد الآشوري وضغطه على حدود خاتى والذي مثل بالنسبة للوضع برمته ثالثة الأثافي، وزاد عليه شق الدويلات السورية التابعة لخاتى عصا الطاعة عليها وهجوم قبائل الكاسكاس (جازجا) من الشمال. ولقد



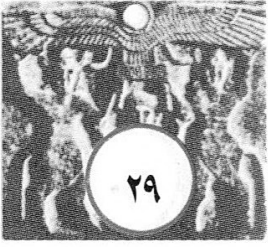
مدخل مدينة (بوغاز كوي) - منقوش على هيئة أسود سنة ١٤٠٠ ق م



ختم الملك الحيثي تدخاليا

نحت بارز لأحد معبودات منطقة الأناضول





حاول شوبيلوليوما الثاني إحداث صحوة تجنب بلاده هذا الوضع المتدني، فاستعاد مساندة الدويلات السورية، وهزم أسطولا من الغازين من شعوب البحر خارج حدود قبرص، كما وجه حملة ناجحة ضد آشور استطاع بها أن يستعيد السيطرة على مناجم النحاس في إيساوا.

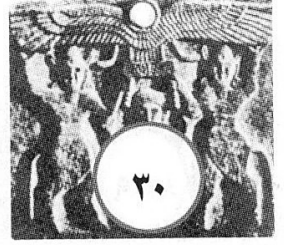
بيد أن هذه الصحوة لم تحل دون مواجهة الإمبراطورية الحيثية لنهايتها المحتومة والتي جاءت على يد شعوب البحر حوالي عام ١٢٠٠ ق م. أولئك الأقوام الذين هددوا المنطقة بأسرها وعلى الرغم من تصدى رعمسيس الثالث لهم في مصر بخاصة إلا أنه قد دانت لهم الأناضول ثم كليكية ثم قبرص فشمال سوريا. وأصبحت خاتى شبه متهاوية وكأنها تنتظر أية ضربة لتقضى على بقيتها الباقية. وقد حدث بالفعل على يد قبائل الكاسكاس (جازجا) وجيرانها في الشمال الشرقي، الذي أضرموا النار في عاصمة الحيثيين وجعلوها أثرا بعد عين. ويبدو أن ذلك قد تم على عهد حاكم غير معروف مقارنة بسابقه ويحمل اسم شوبيلو ليوما والذي ربما كان أخا لآرنوانداسن الذي تشى حولياته بعدم معاصرته لتلك الأحداث الدرامية.



قاعدة حجرية لعمود عثر عليها في قرقيش على هيئة إله حيثي جالس على عرشه



رعمسيس الثالث يهزم شعوب البحر - معبد الرعامسة



وبذلك تسقط الإمبراطورية الحيثية التي استمرت قرابة قرنين ونصف من الزمان كانت فيها القوة العظمى فى الشرق المسيطرة على الطرق الرئيسية لتجارة المواد الخام .

بيد أن من الأهمية بمكان فى ختام هذا العرض الختامى بمرحلة عصر الإمبراطورية أن نلخص ما ذهب إليه J.G. Macqueen فى كتابه عن الحيثيين فيما يخص مرحلة الإمبراطورية . إذ يذكر أن ثمة أفكار خاطئة قد اكتنفت هذا العصر أولها أن الحيثيين تحصلوا على مكانتهم باحتكارهم إنتاج الحديد، وهو أمر لم يقيم الدليل عليه . وإن لعب الدافع الاقتصادى فيما نرى دوراً كبيراً فى توجهاتهم السياسية .

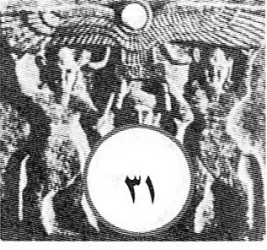
ثانياً أن نجاح الحيثيين إنما يعزى لكونهم قد حكموا بواسطة أرستقراطية هندوأوروبية . بيد أن ما حيك من أساطير حول العبقرية الهندوأوروبية لم يعد يعتد به الآن، فقد اعتملت عدة عوامل فى صياغة التكوين الطبقي للمجتمع الحيثى لم يكن من بينها التمايز بفضل اللغة أو العرق .

أما ثالثاً وأخيراً، فإن الحيثيين قد صوروا بأنهم شعوب بربرية دفعها العوز والفاقة لعبور حدودها تجاه مناطق الحضارات القديمة بالرافدين . وهو أمر مجاف للحقيقة بل ويناقض تماماً وجهة النظر فى ثانياً؛ ذلك إن بلاد الأناضول لم تكن ترزح فى بربرية العيش قبل أن يغشى الحيثيون بابل . بل على العكس، كانت تقاليدھا أصلية ورفيعة المستوى تضاهى أقرانها فى الشرق، كما أن اهتمام الحيثيين بمنطقة الرافدين كان يستند على مبادئ اقتصادية تحكمت فيها قواعد السياسة وبالتالي فإن وصفه بالغزوة البربرية الطامعة يعد إجحافاً له .

ولعل ما يؤكد ذلك استمرار مظاهر التأثير الثقافى الحيثى على جنوب شرق الإمبراطورية الزائلة قرابة خمسة قرون . تمثلت فى تردد اسمها فى الوثائق الآشورية، وتسمى بعض الحكام بالمنطقة بأسماء حكام خيتا (خاتى) الشهيرة . فضلاً عن استمرار استخدام الهيروغليفية الحيثية فى تدوين بعض النصوص للنصب التذكارية للملك سوريا .

ثالثاً: مرحلة ما بعد الإمبراطورية

يطلق على هذه الفترة أيضاً اسم «عصر الممالك الحيثية المتأخرة على أساس أنه مثلما حلت الشعوب الآخية والطرودية فى جنوب غرب الأناضول، فقد حلت كذلك القبائل الفريجية محل الحيثيين، وإن استقروا فى الجزء الغربى من هضبة الأناضول حتى نهر هاليس . ثم مدوا نفوذهم شرقاً حتى كبادوكيا . وتعددت بالمنطقة ممالك عدة مثلما كان الحال بالنسبة للممالك السورية . وتكونت من بعضها عدة أحلاف وظهرت من بينها ممالك لأول مرة فى التاريخ بيد أنها كانت من



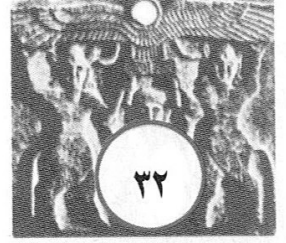
الضعف مما أعزى حاكم آشور تجلات بيلاسر لاستعداد نفوذ مملكته على الدويلات السورية والممالك الحيثية. بحيث أصبحت على عهد من خلفوه من ملوك آشور ممالك آشورية حتى أن ما أشارت إليه المصادر الكلاسيكية. ربما يعنى زوال اسم خاتى نهائياً إنما كان دليلاً على زوالها نهائياً من مسرح التاريخ.

ومن ثم يمكن القول إن تاريخ الممالك الحيثية فى سوريا الكبرى قد ارتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ المنطقة الجغرافية، ولم تكن علاقته بالحيثيين تتعدى الخلفية التاريخية لبعض سكانها الذين عرفوا بالحيثيين الجدد تمييزاً لهم عن جماعات ما قبل الحيثيين ثم الحيثيين الأصلاء وإن احتفظوا بمسمى خاتى للدلالة على منطقتهم، لاسيما فى المدونات الآشورية.

والجدير بالذكر، أن تعاصر هذه الممالك الحيثية مع ملوك آشور الطموحين قد صاغ جزءاً رئيسياً من تاريخها. إذ تكرر ذكر خيتا فى نصوص ملوكها المحاربين بدءاً من عهد تجلات بيلاسر حيث وصفت بخاتى العظيمة ربما تضخيماً لحجم إنجازاته أو إشارة لقرقيش الخليفة لرئيسية لخاتى منذ القدم. إلا أن نفوذ آشور قد ضعف على هذه الممالك لحساب القبائل الآرامية التى استقرت فى سوريا، ولتصطدم بدورها مع الممالك الحيثية فى الشمال السورى. والتى نجحت فى إقصاء بعضها وإقامة حكم آرامى فيها مثلما الحال فى دمشق أولى تلك الممالك وأقواها، يشهد بذلك ما خلفوه من كتابات بلغتهم الآرامية أو بالفينيقية.

بيد أن هذه التغييرات قد أتاحت فى المجمل نوعاً من التعايش السلمى بين الممالك الحيثية ومثيلاتها الآرامية، تحسباً للعدو المشترك والأقوى وهى آشور التى كانوا يدفعون لملوكها إتاوة الخضوع والتبعية عن يد وهم صاغرون. وإن لم يحل ذلك دون نقل الثقافة الحيثية جنوب الإقليم السورى فى فلسطين تحديداً حيث خدم جنود الحيثيين كمرتزقة فى الجيش المصرى وألحقت نساؤهم بالحرثم العبرانى على عهد سليمان.

وبالفعل عاد النفوذ الآشورى ليطل برأسه على المنطقة من جديد على عهد آداد نيرارى الثانى حتى أنه اتجه صوب الفرات الأعلى وأخضع الممالك الحيثية التى ظلت على خضوعها على عهد من تلوه من حكام مثل تكلوت نورتا الثانى وآشور ناصر بال. وتمثل ذلك فيما كانوا يدفعونه من إتاوات مقابل عدم ضربهم. ولم يتم أى نوع من الاتحاد فيما بينها إلا فى عهد شلمنصر الثالث الذى لقنهم درساً مريراً وعادوا أدرجهم إلى حظيرة التبعية لآشور وعلى رأسهم بالطبع قرقيش. فضلاً عن حماة ودمشق اللتين نجحتا فى ضم اثنى عشر أميراً لمواجهة آشور ثانية ورغم نجاح الأمر فى البداية إلا أن شلمنصر الثالث نجح فى ضرب دمشق ومن ورائها ذلك التحالف بمساعدة من أحد حكام المنطقة من الآراميين.



إناء فضى قاعدته على هيئة وعل - وجد في تركيا القرن
الرابع ق م يظهر فيه التأثير الآشوري

قائمة تسلسل ملوك خاتي في عصر الإمبراطورية

(١) تودهاليس الثالث

(٢) شوييلوليوما الأول

(٤) مورسيللي الثاني

بياسيليس ملك قرقيش

تيلينوس ملكا على حلب

زانزاس (قتل في مصر)

(٣) أرنونداش الثاني

(٧) خاتوسيللي الثالث

(٥) مواتللي الثاني

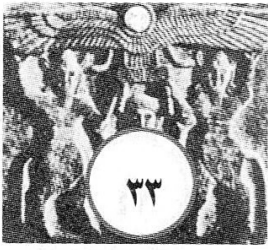
(٨) تودهاليس الرابع

(٦) مورسيللي الثالث

(أورهي - توشوب)

(١٠) شوييلوليوما الثاني

(٩) أرنونداش الثالث



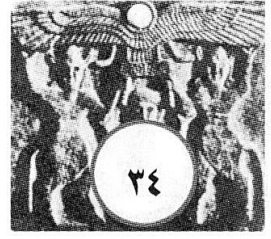
وعندما خفت سطوة الآشوريين على الممالك الحيثية ولمدة نصف قرن، كان دور الأوراراتيين قد حل ليتمد نفوذهم على هذه الممالك بدلا من آشور. إلا أن هذه الأخيرة عندما نهضت من كبوتها على يد تجلات بلاسر الثالث الذي أعاد نفوذ آشور على الممالك السورية بعد موقعة حامية الوطيس ضد حكام أوراراتو الذين عادوا أدراجهم إلى الجبال الشمالية حيث أتوا.

بيد أنه نظراً لتذبذب التبعية السورية لآشور، فقد طبقت هذه الأخيرة سياسة الضم الكامل للولايات الحيثية السورية لتصبح ولايات آشورية. وهو ما طمس آخر معالم الوجود الحيثي بالمنطقة لصالح آشور، حتى أن الرحالة الإغريق الذين زاروا المنطقة رددوا ما لمسوه بالفعل وهو وجود مقاطعات من الإمبراطورية الآشورية دونما ذكر لخاتى.

وكأنه كتب على هذه المنطقة أن تبدأ تاريخها المدون بالتبعية لآشور وتنتهي بها وذلك حوالى عام ٧٠٩ ق م تقريباً وهي سنة ضم آخر ولاية حيثية لحظيرة آشور.

المنطقة الحضارية	بالبوليثيك	نيبوليثيك	عصر البرونز المبكر	عصر البرونز الأوسط	عصر البرونز المتأخر	عصر	الجديد
شمال العراق		حصونة العبيد سامرا حلف	جاورا أروك نينوى ٥	العصر الأكدي أسرة أور الثالثة	العصر الآشوري القديم شمش - آداد رسائل ماري	عصر الميتاني العصر الآشوري الوسيط	العصر الآشوري المتأخر الحكم الفارسي
جنوب العراق		العبيد	أروك عصر الأسرات المبكرة الجبابة	العصر الأكدي أسرة أور الثالثة	العصر الكاشي العصر البابلي الوسيط	العصر البابلي المتأخر السيطرة الآشورية العصر البابلي الحديث	
والخليج	ارتفاع مستوى سطح البحر	التأثير العراقي فخار العبيد	الملكية لأور سوسة أ تأثير أروك مرحلة عصر ما قبل العيلامي	العصر العيلامي القديم جودين III ولمون	العصر العيلامي الوسيط مجئ القبائل الإيرانية	الميديون (الغزو الأورارتي والآشوري) المدون (الغزوات الآشورية) الحكم الفارسي (المسلمون) - الأحمينيون (العرب)	غزو الإسكندر الأكبر
الأناضول (آسيا الصغرى)		شاتال هوبوك العصر القوقازي المبكر	مقابر الأكاهاوبوك	عصر المتأخر الآشورية القديمة العصر الحبشي القديم	الحيثيون مجئ الفرنجيسن	الأوانينيون الليديون الفرنجيون	

تخطيط زمني لبعض دول منطقة الشرق الأدنى



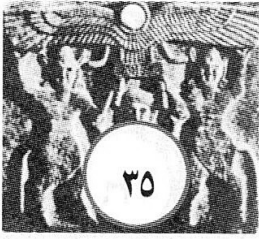
والواقع فإن الفترة من نهاية تاريخ الممالك الحيثية فى شمال سورية وحتى مجيء الإسكندر وفرض سيادته العالمية على المنطقة بأسرها، لم تكن فيها آسيا الصغرى بمعزل عن الأحداث التى عايشتها الكيانات السياسية سواء فى سوريا الكبرى أو إيران أو بلاد الرافدين. ففى الفترة من ٧٠٠ إلى ٦٠٠

ق م، اجتاحت جحافل السميريين المنطقة بعد رحلة من جنوب روسيا وحتى أوراراتو عبر منطقة القوقاز. ولم تفتح أية تحالفات آشورية مع بقايا المدن الحيثية مثل ميتا الموشكية حتى لقيت هزيمة منكرة على أرض الأناضول، لتتحسر بعدها الحدود الآشورية من ناحية وتتاح الفرصة لقوى أخرى وهى قوة الفريجيين ثم الليديين فى غرب الأناضول والذين تهددتهم قوة السميريين كذلك فظفوا خاضعين لهم حتى عام ٦١٠ ق م.

ومما لا شك فيه أن اندحار السميريين بعدما صالوا قرابة قرن فى المنطقة قد أتاح لممالك الأناضول المحلية بصيصاً من الاستقلال لا سيما بعدما خارت قوى آشور فى المنطقة لصالح بابل وليديا. بيد أن الوضع لم يستمر طويلاً بظهور قوة أخرى وهى قوة الميديين الزاحفة عبر جبال أرمينيا، التى اصطدمت لعدة عقود بالليديين، الأمر الذى استدعى تدخل حكام المنطقة فى بابل وقليلية. ليظل الوضع قائماً حتى مجيء

قورش على رأس جحافل الفرس عام ٥٥٠ ق م. التى اجتاحت المنطقة بأسرها ومنها بالطبع منطقة الأناضول التى ظلت خاضعة اسمياً للفرس حتى عام ٤٠١ ق م حيث تحولت إلى مقاطعة فارسية لتتخلى تماماً السيادة السياسية فى أوهى مظاهرها وإن ظلت المؤثرات اللغوية شاهداً على الوجود الحيثى القوى بالمنطقة لقرون خلت.





الفصل الثالث بعض المظاهر الحضارية لمنطقة الأناضول

من الصعوبة بمكان أن نرصد في هذه العجالة كافة المظاهر الحضارية التي اختصت بها منطقة الأناضول في عصورها التاريخية، بل وفي مرحلة ما قبل التاريخ التي تعتبر الأساس الذي تأسست عليه هذه المظاهر على المستويات التنظيمية الإدارية والاجتماعية والاقتصادية والعقائدية والفكرية فضلاً عن العمارة والفن.

ولسوف نعرض لبعض الملامح الهامة لهذه المظاهر الحضارية.

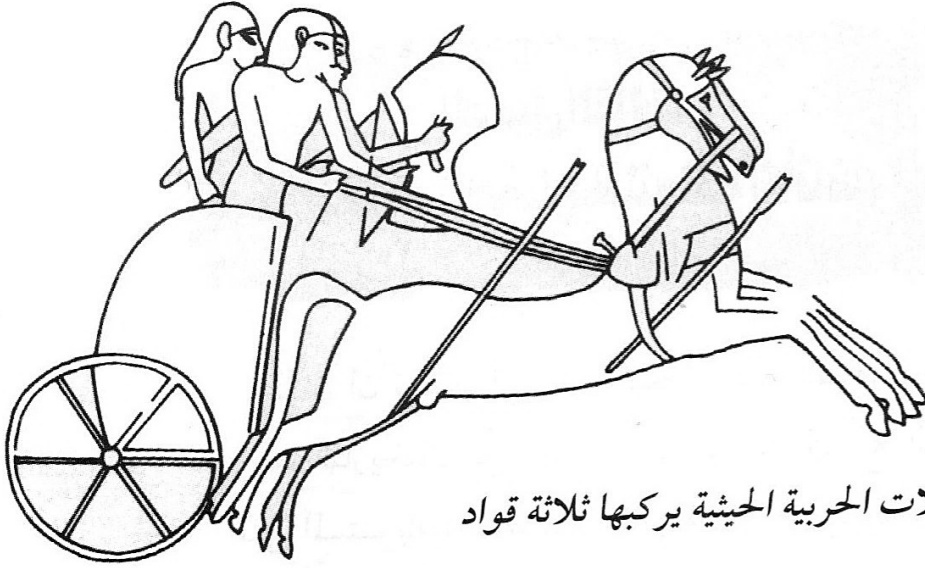
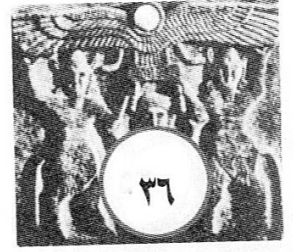
فعلى مستوى التنظيم السياسى والإدارى فمما لا شك فيه أن نظام التدريب الذى أشرنا إليه سلفاً الذى وضعه تليبينوس قد نظم عملية وراثة العرش ومنح منصب الملك الرسوخ والاستقرار وحق له بذلك حمل لقب «الملك العظيم».

والملاحظ أنه لم يؤله فى حياته حيث اكتفى الحيثيون بعبادة أرواح ملوكهم أو ما يعرف بعبادة الأسلاف. بيد أنه فى الواقع كان الملك كرأس للدولة مسئولاً عن الجيش والكهانة والقضاء وكل ما يرتبط بالعلاقات الدولية سلماً وحرباً.

ونظراً لأن الدولة الحثية كانت نتاج جماعة فرضت نفسها على سكان البلاد الأصليين فمن الطبيعى أن تحظى هذه الجماعة بكل سمات النبلاء وامتيازاتهم، فمنهم كانت حاشية الملك ورؤساء إدارات القصر ومنهم حكام المدن الذين يتوفر على معاونتهم هيئة المواطنين بكل مدينة، التى على ما يبدو قد استعيز عنها فى مرحلة تالية بمندوبى الدولة بالأقاليم. فى حين ظل أفراد الشعب على الدوام يطلق عليهم «رجال الآلهة» بحكم كونهم تحت إمرة الآلهة والملوك الذين يوظفون مواهبهم كزراع وصناع لمصلحتهم.

أما إدارة الأقاليم الخارجية فقد تراوحت ما بين الضم الكامل أو التبعية الاسمية وفقاً لطبيعة كل إقليم ومدى خطورته على مصالح الإمبراطورية.

وبالنسبة للتشريع فقد غطت مواد القوانين المكتوبة كافة الأحوال الاجتماعية والعقوبات الجنائية بل وتعدتها أحياناً إلى تقدير أسعار بعض السلع والخدمات. وقد كانت هذه القوانين تطبق على عدة مستويات تبدأ بشيوخ القرى فمجالس الحكم فضلاً عن المحاكم الكبرى التى كان يتعين أن يكون من بين هيئتها من يمثل الملك.



رسم للعجلات الحربية الحيشية يركبها ثلاثة قواد

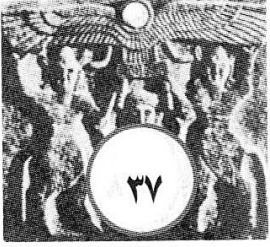
وجدير بالذكر أن السمة الأساسية للعقوبات على تنوع الجرائم كان دفع التعويض المادى الملائم لها، ومن ثم فقد خلت من أى عقاب بدنى سواء كان سجنًا أو جلدًا أو إعدامًا.

أما الجيش فقد تميز بحسن التنظيم من خلال فرق المشاة فضلاً عن المركبات إلى جانب جنود الحاميات والحصون والذين اشتملت فصائلهم على بعض المرتزقة. وتدل معارك الحيشيين وأشهرها بالطبع معركة قادش على تمكنهم فى فنون القتال والتنظيم العسكرى على المستويات الهجومية والدفاعية والوقائية، وهو ما انعكس على أساليب تعاملهم الدبلوماسية مع جيرانهم.

وإذا ما نظرنا للحياة الاجتماعية فى المجتمع الحيشى فقد كان عمادها الأسرة المنتسبة للأب. كما كان الزواج تقليدياً يبدأ بالخطبة ثم أداء المهور وإقرار الصداق وإبرام العقد، كما حرم المجتمع الحيشى زواج المحارم (الأخت والأم) بل وأعطى حق تزويج الأرملة من أخ المتوفى أو والده أو ابن الأخ أو الأخت، حفاظاً على ثروة العائلة التى كانت تنتقل للأرملة وذريتها بالميراث.

وقد تم تقنين وضع عقد الزواج فى حالة فسخه نتيجة عدم التزام أى من الطرفين ببنوده، وذلك بدفع تعويضات ينص عليها. أما فى حالة وفاة الزوجة فصداقها يؤول لزوجها. كما نص المجتمع على إعدام الزوجة الزانية مما يدل على رقى التنظيم الاجتماعى وقيمة الأسرة فى المجتمع الحيشى.

وفيما يتعلق بالحياة الاقتصادية فقد كان قوامها الزراعة بحكم كثرة الأودية والقنوات فى هضبة الأناضول. حيث كان الشعير والقمح والكروم والزيتون من أهم المنتجات الزراعية والتى قامت عليها صناعة الخبز والجمعة والخمر وإنتاج الزيوت. ولعل كثرة البنود المتعلقة بالزراعة فى تشريعات الحيشيين تدل على المنحى الزراعى لنشاطه.



كما تنوعت بالمنطقة الثروة المعدنية وعلى رأسها الفضة والنحاس الذى أغرى تجار آشور لتأسيس مستوطناتهم فى مرحلة ما قبل الآونة الحيشية. كما عرف أيضاً الرصاص والبرونز والحديد بحيث برع الحيشيون فى الصناعات المعدنية المختلفة لا سيما الأسلحة وألواح الكتابة.

كما زخرت المنطقة بثروة حيوانية وانتعشت حرفة الرعى وقامت على هذه الثروة صناعات أهمها بالطبع صناعة الجلود. وقد كانت حركة التجارة مزدهرة بحكم سيطرة خيتا (خاتى) على طرقها الرئيسية واحتكارها لحركة المتاجر فيها.

أما العقيدة فقد زخرت المنطقة بعدد من المعبودات الطقسية (أى المرتبطة بطقوس محددة) المحلية منها أو ذات المؤثرات الخارجية التى زخرت بهم النصب الدينية أو المعابد، حيث صور بعضها بشكل آدمى أو حيوانى، ومن أهم هذه الآلهة تيشوب وزوجته الإلهة خيبات وابنهما شاروما، مما يشير إلى معرفة الأناضول للثالوث الإلهى.

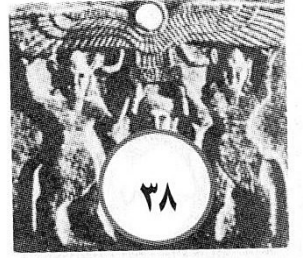
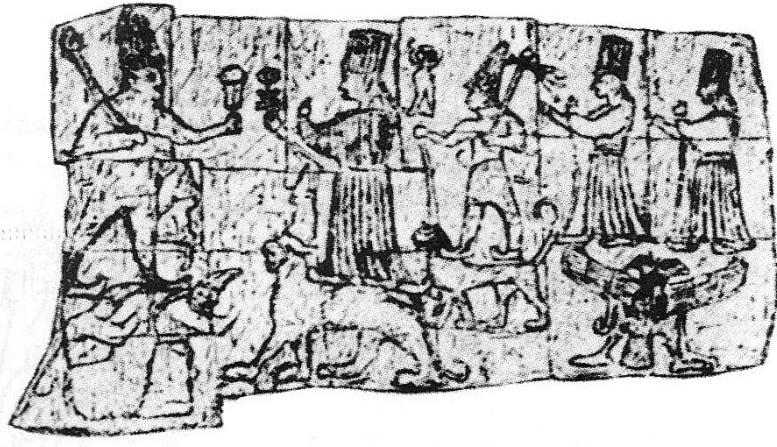
أما المركز الدينى الرئيسى للحيشيين فقد كان فى منطقة أرينا حيث عبادة الشمس التى جعلت منها منطقة مقدسة، فضلاً عن كونها الإلهة الرسمية الحامية للدولة.

وكما تعددت الآلهة تعددت أيضاً الهياكل أو النصب الدينية (البازيليك)، فى حين اتخذت المعابد تصميمًا واحدًا إلى حد كبير عبارة عن عدة حجرات حول فناء واسع يتصل به قدس الأقداس اتصالاً مباشراً بما يتيح للمصلين فى الفناء رؤية تمثال المعبود.

كما كان يحتفل فى هذه المعابد بالأعياد الدينية المرتبطة فى الغالب بالتقويم الحيشى مثل عيد الربيع التى كان يمثل عيداً للإخصاب وعيد رأس السنة وغيرهما، والذى كان الملك فيها قاسماً مشتركاً مع سدنة المعبد.

ويرتبط بالعقيدة العديد من النواحي الفكرية والثقافية وأهمها الأساطير التى تعبر عن روح أهل المنطقة ونظرتهم للحياة من ذلك أسطورة ذبح التنين والتى تضافرت فيها جهود كل الآلهة للخلاص من التنين أو صراع الخير والشر. أو أسطورة الملكية الإلهية التى تدور فى جو أسطورى يعكس صراعاً بين الآلهة كالذى عرفته مصر على يد حورس وعمه ست.

أما عن اللغة والكتابة فقد عرفت المنطقة عدداً من اللغات وكتابتها مثل الحيشية التى تمثل فرعاً مستقلاً من عائلة اللغات الهندو-أوروبية، التى اتسمت بالكتابة المقطعية التى تشتمل كل علامة فيها على عدد من الأحرف.



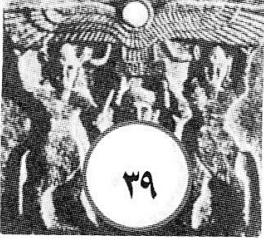
نقش بارز على قطعة حجرية يصور آلهة حورية نرى من اليسار إلى اليمين (تشوب) إله الجو يستقبل الإلهة (هيبات) وابنها (شاروما)

تمثال ذهبي لأحد الملوك الحيثيين الذين عبدوا في عقيدة عبادة الأسلاف، وتم صنعه في القرن الرابع عشر ق م

وهناك أيضاً اللغة ما قبل الحيثية والتي اقتصرت على العبارات والتراويل، لذا فقد كانت الكهانة وسطها الطبيعي. فضلاً عن الحورية التي انتعشت في المقاطعات الحيثية السورية. إلى جانب بالطبع تأثيرات لغات الجوار مثل الآرية والسومرية بما يفسر معرفة الكتابة المسمارية بالمنطقة وكذا اللغة اللوفية والخاصة بدولة أرزاوا.

أما أشهر أنواع الخطوط فهي الهيروغليفية الحيثية التي اعتمدت على الكتابة بالصورة مستلهمة الأدوات والأشياء والكائنات الحية المتوافرة

في البيئة المحلية كعلامات للكتابة. حيث كانت تصف كتابة من اليمين إلى الشمال ثم من الشمال إلى اليمين في الصف التالي وهكذا. ويرجح أن الموطن الأصلي للهيروغليفية الحيثية كان منطقة كيزاوندا.



مراجع الكتاب

أولاً: المراجع العربية والمعربة:

- ١ - برزخ سمكوغ: الشركس في فجر التاريخ، دمشق (١٩٩٥).
- ٢ - جيمس ميلارت: أقدم الحضارات في الشرق الأدنى القديم، ترجمة محمد طلب، الإسكندرية (٢٠٠٢).
- ٣ - حسن السعدى: في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ج٢، الإسكندرية (٢٠٠٢).
- ٤ - رشيد الناضورى: المدخل في التحليل الموضوعى المقارن للتاريخ الحضارى والسياسى فى جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا، بيروت (١٩٧٧).
- ٥ - سبتيانو موسكاتى: الحضارات السامية القديمة، ترجمة السيد يعقوب بكر، بيروت (١٩٨٦).
- ٦ - محمد على سعد الله: تاريخ الشرق الأدنى القديم، الإسكندرية (٢٠٠٢).

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- 1- Goetze, A., The Hittites and Syria, C.A.H. 2/2 A, Cambridge (1982).
- 2- Hokce, K (and Others): The Anatolian Civilizations, Istanbul (1983).
- 3- Gurney, O.R., Hittites, London (1954).
- 4- Lloyd, S., Early Anatolia, Pelican Books (1956)
- 5- Macqueen, J.G., The Hittites and their contemporaries in Asia Minor, London (1986).
- 6- Roaf, M., Cultural Atlas of Mesopotamia and the Ancient Near East, Oxford (1990).

Encyclopaedia Introduction

History is the most esteemed branch of human knowledge, thus a historian should abide by the virtue of objectivity, foresight and the readiness to learn from the lessons of the past in order to confront present and future challenges.

History is not a kind of tell-tale, rather it is the morale lying behind events and happenings. History again has a wonderful trait which is "continuum" from the past to the present, and ventures of the future.

Episodes of history are transformed from one generation to the other via the narrative which preserves the accomplishments of each and every historical epoch.

However, history does not in any way repeat itself, for every day there is something new and dynamic in our globe. It is true that the stage for events remains the same, but seasons change and the human being himself does change, socially and culturally as well.

In view of all these considerations, Dar El-Fikr-EL-Arabi, founded by Mr. Mohamed Mahmoud El Khodari, has taken on itself to foster this colossal project of a historical serial involving past, present, and contemporary records from a universal approach.

It is noteworthy that the authors of this serial are from the elite of the Egyptian historians.

We sincerely hope that the recipient will enjoy reading the volumes of this serial for which Dar- El-Fikr has devoted all its efforts and technologies to produce it in this colorful format.

Dr. Said Abdel Fattah Asshour

CONSULTATIVE COMMITTEE FOR: THE ENCYCLOPAEDIA OF HISTORY, ARCHAEOLOGY AND CIVILIZATION

P. Said Abd El-Fattah Ashour	Professor of Medieval History - Faculty of Arts - Cairo University. Chairman of the Arab Historians Union.	Chairman
P. Adel Hassan Ghoneim	Professor of Modern History - Faculty of Arts - Ain - Shams University.	General Coordinator
P. Abd El-Halim Nur Eldin	Professor of Ancient Egyptian Language - Faculty of Archaeology - Dean of the Faculty of Archaeology, Fayyoun Branch, Cairo University. Director of the Centre of Calligraphy, Bibliotheca Alexandria.	Rapporteur of Ancient History Series
P. Ishak Ebeid	Professor of Medieval History - Faculty of Arts - Ain - Shams University	Rapporteur of Medieval History Series
P. Essam El-din Abd El-Raouf	Professor of Islamic History - Faculty of Arts - Cairo University.	Rapporteur of Islamic History Series
P. Gamal Zakariya Kassem	Professor of Modern History - Faculty of Arts - Ain - Shams University.	Member
P. Attiya Al-Qoussy	Professor of Islamic History - Faculty of Arts - Cairo University.	Member
P. Saber Diab	Professor of Islamic History - Dar El-Ulum Faculty, Fayyoun Branch, Cairo University.	Member
P. Raafat Abd El-Hamid	Dean of the Faculty of Arts (Formerly) - Ain - Shams University & Professor of Medieval History.	Member

Editing Directors: Chemist/ Amin Mohamed Al-Khodary

Engineer/ Atef Mohamed Al-Khodary

Committee Secretary: Abd El Halim Ibrahim Abd El-Halim

Designed by : Mohy El-Din Fathy El-Shaloudy

Correspondence & Communications:

Dar El-Fikr El - Arabi

The Encyclopaedia of History, Archaeology and Civilization

94 Abbas Al-Akkad St., Nasr City - Cairo - Egypt

Tel.: 22752984 Fax: 22752735

www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com

**The Encyclopaedia of History,
Archaeology and Civilization**

Ancient History

18



Ancient Anatolia (Asia Minor)

Hassan Al- Saady

Publisher

Dar Al-Fikr Al-Arabi

94 Abbas El - Akkad St. Naser City - Cairo

tel : 22752794 . Fax : 22752735

www.darelfikrelarabi.com
INFO@darelfikrelarabi.com

The Encyclopedia
of **History,**
Archaeology
and Civilization

Ancient History

18

**History
and
Civilization
of Ancient Anatolia**



Dr. Hassan Al Saady



9
1
29